عصور "الجديدة"

مجلة فصلية محكمة تعنى بتاريخ الجزائر والتراث التاريخي المخطوط يصدرها مختبر البحث التاريخي *"تاريخ الجزائر"- جامعة وهران*

عدد 3-4- عدد خاص بالندوة العلمية الوطنية حول التاريخ والمؤرخين الجزائريين

خريف- 1432هـ- 2011م/شتاء 1433هـ-2012م

ردمد ISSN 2170-1636

الإيداع القانوني: Depot Légal -2011

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ صدق الله العظيم

[آل عمران: الآية 140].

مدير المختبر ورئيس التحرير:

أ.د.عبد القادر بوباية

الهيئة العلمية للمختبر:

أ د. فغرور دحو

أ د. محمد دادة

أ.د محمد موفقس

د. أحمد رنيمة

أة. تالية سعدو

أ.حمدادو بن عمر

أ. امحمد بوشريط

شروط النشر بالمجلة

ترحب المجلة بمشاركة الباحثين المتخصصين وتقبل للنشر الدراسات والبحوث المستوفية للشروط الأكاديمية التالية:

1- أن يكون البحث مبتكرا أصيلا ولم يسبق نشره، وأن لا يكون فصلا من مذكرة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.

2- أن يتبع الباحث الأصول العلمية المتعارف عليها، وبخاصة فيما يتعلق بتوثيق المصادر، مع إلحاق كشف المصادر والمراجع بالهوامش في آخر البحث، وضرورة كتابتها على الشكل التالي: المؤلف- عنوان الكتاب- المحقق- الطبعة- دار النشر- مكان النشر- تاريخ النشر- الجزء والصفحة.

3- تقدم الأعمال في قرص مضغوط ونسخة مطبوعة على وجه واحد، أو ترسل إلى البريد الإلكتروني للمجلة.

4- يتراوح عدد صفحات البحث ما بين 10 إلى 20 صفحة مكتوبة بخط **Traditional Arabic** مقاس 14 وتباعد 1. وتكتب الهوامش بطريقة عادية في نهاية البحث، وبمقاس 10 وتباعد فردي.

5- تخضع كل البحوث المقدمة للنشر في المجلة للتحكيم العلمي، ولا تقبل المقالات التي لا تحترم الشروط المذكورة سابقا.

6- لا ترد الدراسات والبحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7- الدراسات والبحوث المنشورة في المجلة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها.

عنوان المراسلة: ترسل البحوث والدراسات باسم:

أ.د.عبد القادر بوباية- مختبر تاريخ الجزائر- قسم التاريخ وعلم الآثار

ص ب 1541 المنور- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

جامعة وهران- الجمهورية الجزائرية

هاتف/فاكس: 0021341348531/0021341427139

البريد الإلكتروني: oussourrevue@gmail.com

الموقع الإلكتروني: Dahou55.maktoobblog.com

فهرس الموضوعات

* فهرس الموضوعات..5
* كلمة العدد..7
* المقالات...9
* باللغة العربية...9
* مؤرخون في ذمة الله:.. 10
* الأستاذة تالية سعدو ....أ.د عبد القادر بوباية/10
* مداخلات الندوة العلمية: المداخلات في التاريخ الوسيط 20
* يحي بن خلدون وكتابه بغية الرواد.......................أ.د عبد الحميد حاجيات/21
* محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م) الفقيه التاريخي.......... محمد بوشقيف40
* دور ابن القنفذ القسنطيني في تأريخ الحياة السياسية والثقافية والدينية للجزائر الحفصية ... عبد القادر قوبع/53
* أبو العباس الغبريني البجائي (ت704هـ/1304م) ومنهجه من خلال كتابه: "عنوان الدراية".. مغزاوي مصطفى/70
* ابن مرزوق الخطيب وكتاب المناقب المرزوقية .... أة. نوال بلمدني/83
* التاريخ والمؤرخون في وارجلان الاباضية على عهد الموحدين أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني نموذجا ....أ.حميد زيدور/100
* المداخلات في التاريخ الحديث 118
* التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني، خصائصه وموضوعاته.......أ. د محمد دادة/119
* منهجية التحقيق عند محمد بن عبد الكريم "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" نموذجاً. بوشريط أمحمد/ 130
* الكتابة التاريخية في الجزائر العهد العثماني نموذجا- ....د. بوشنافي محمد /147

* إسهام العائلة المشرفية في الكتابة التاريخية.................. د. بلبروات بن عتو/ 158
* المداخلات في التاريخ المعاصر 174
* المؤرّخ أحمد توفيق المدني ومذكراته "حياة كفاح" ....أ. حاج عبد القادر يخلف/ 175
* براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي أحمد توفيق المدني نموذجا.. د. محمد غالم/ 190
* الشيخ المهدي البوعبدلي (1907-1992) ....أ. حسني بليل/ 208
* دراسة في آراء وبعض مؤلفات "أبو القاسم سعد الله" ....أ. أوكيل مصطفى باديس /226
* الدكتورة عائشة غطاس وكتابها "الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700- 1830م ..أ. فوزية لزغم /245
* منهج الأستاذ عبد القادر بوباية في تحقيق المخطوطات .... د. بلحاج طرشاوي/ 263
* المؤرخون والكتابة التاريخية في منطقة توات ما بين القرنين 12و14هـ (18 . 20م).... أ.مبارك جعفري /276
* مولاي بلحميسي (1930- 2009م) مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر. د. أحمد رنيمة/ 289
* الأستاذ عبد الحميد حاجيات ومنهجه في التحقيق والتأريخ....د. نصر الدين بن داود/ 301
* المدرسة التاريخية الجزائرية 315
* نحو مدرسة تاريخية جزائرية فتح ملفات عالقة .... أ. لخضر بولطيف/ 316
* مساهمة المؤرخين الجزائريين في تحقيق التراث التاريخي الجزائري المخطوط .د.عبيد بوداود/ 333
* مكانة تاريخ الأندلس في الدراسات العليا بالجامعات الجزائرية...أ.د عبد القادر بوباية/ 350
* النشاط العلمي لمخبر تاريخ الجزائر ....عرض أ. د عبد القادر بوباية/ 365
* الإصدارات الجديدة 370

كلمة العدد

نواصل المسيرة العلمية لمجلة عصور الجديدة مع هذا العدد المزدوج الذي خصصناه لنشر المداخلات التي أسهم بها المشاركون في الندوة العلمية الثانية التي نظمها مختبر تاريخ الجزائر لموضوع "التاريخ والمؤرخين الجزائريين عبر العصور".

مما لا شك فيه أن المؤرخين الجزائريين كان له إسهام واضح في التدوين التاريخي عامة، وتدوين تاريخ الجزائر عبر العصور خاصة، وكان لهم وجود ضمن كوكبة المؤرخين الذين تخصصوا في هذا النوع من الكتابة، وقد ازداد عددهم أكثر بعد حصول الجزائر على استقلالها، وبخاصة بعد انتشار أقسام التاريخ في العديد من جامعات الجزائر.

وقد سمح ذلك ببروز نخبة سعت جاهدة إلى المساهمة وبدور فعال في كتابة التاريخ وتحقيق مصادره المخطوطة.

ومن خلال المداخلات التي قدّمها باحثون من جامعات تلمسان وسيدي بلعباس وتيارت ومعسكر ووهران والشلف والجزائر والبويرة والمسيلة والوادي تبين بجلاء وجود نواة مدرسة تاريخية جزائرية تسعى جاهدة إلى كتابة التاريخ الوطني من جهة، وإلى الإسهام في التدوين التاريخي المغاربي وتحقيق التراث المخطوط الذي تزخر به الكثير من الخزائن المنتشرة عبر التراب الوطني وكذا الخزائن والمكتبات المتواجدة خارج الجزائر.

وقد اختتمت الندوة العلمية بتكريم أحد الوجوه البارزة في الكتابة التاريخية وتحقيق التراث المخطوط بالجزائر، ويتعلق الأمر بالأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي يعتبر قدوة لكثير من المؤرخين الشباب بالنظر إلى الدور الفعال الذي أسهم به في كتابة التاريخ وتحقيق التراث المخطوط، وقد سعينا من خلال هذا التكريم الذي يصادف احتفالية تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية- والأستاذ من أبناء هذه المدينة- إلى ترسيخ سنة حميدة تتمثل في تكريم المؤرخين الجزائريين في حياتهم حتى نشعرهم بالقيمة الكبيرة التي يحتلونها في الحركة العلمية عامة، وفي التدوين التاريخي وتحقيق التراث المخطوط خاصة.

مدير المختبر ورئيس التحرير: أ.د عبد القادر بوباية

المقالات

باللغة العربية

مؤرخون في ذمة الله:
الأستاذة تالية سعدو

أ.د عبد القادر بوباية*

في مساء يوم الجمعة 23 مارس 2012م، وعلى الساعة السادسة مساء تلقيت مكالمة من الأستاذ وهراني قدور– جامعة تلمسان– ظننت لأول وهلة أنه يريد أن يعلمني بتنظيم جامعة تلمسان لندوة علمية يريد دعوتي إليها، ولكن المفاجأة كانت كبيرة عندما أعلمني بوفاة الأستاذة تالية سعدو في مصر أين كانت متواجدة في تربص علمي قصير المدى، وكانت الفاجعة أكبر عندما أعلمني بظروف وفاتها متأثرة بتسرب الغاز أثناء استحمامها في أرض الكنانة.

لقد ذهبت الأستاذة سعدو إلى مصر لإجراء هذا التربص، وكلها أمل في أن تضيف معلومات إلى ما جمعته من مادة متعلقة بأطروحة الدكتوراه الموسومة بـ"الحياة الاقتصادية في الأندلس على عهد الأمويين (138-422هـ/756-1031م)" التي كانت تحضرها تحت إشرافي منذ سنة 2006م، وكان من المتفق بيننا أن تأتيني بالفصل الأول بمجرد عودتها من تربصها، ولكن الأجل حال دون تحقيق ذلك.

نحن مسلمون ونؤمن بالقضاء والقدر، ولكنني أعتبر أن رئيس جامعة ابن خلدون بتيارت يتحمل جزءا من المسؤولية فيما حدث للأستاذة تالية سعدو بمصر، ذلك أنها قد قدمت رسالة استقبال من المغرب الشقيق، وكان من المفترض أن تتوجه إلى هذا البلد الذي توجد به المادة التاريخية التي تخدم أطروحتها سواء المطبوعة منها أو المخطوطة بصفة أخص، كما أن الأساتذة الذين كانت ستقابلهم في هذا البلد من المتخصصين في التاريخ الأندلسي، وبالتالي فالفائدة كلها موجودة في المغرب الشقيق، ولكن القرار الذي اتخذه رئيس الجامعة، والذي منع بموجبه كل أساتذة جامعة ابن خلدون من التوجه إلى المغرب تطرح أكثر من سؤال، بخاصة وأن الوزارة لم توجه أي تعليمة يبرر بها هذا المنع، وقد حاولت الباحثة ثني عزيمة رئيس

* – أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب الإسلامي ومدير مختبر تاريخ الجزائر– جامعة وهران.

الجامعة بصفتها رئيسة للمجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية إلا أنه أصرّ على منعها ومنع الأساتذة من التوجه إلى المغرب رغم حصولهم على رسائل استقبال من هذا البلد.

لقد رحلت الأستاذة سعدو في وقت كنت بحاجة إليها من أجل مساعدتي في استكمال مشروع البحث الوطني حول مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط باعتبارها عضو رئيس فيه، وفي وقت كنت في حاجة إليها في مختبر تاريخ الجزائر الذي كانت عضو في إحدى فرق البحث به، وفي مشروع بحث حول "فتنة القرن الخامس الهجري ودور البربر المغاربة فيها"، ولكنني في نهاية المطاف سأضطر إلى العمل بدون وجودها، وهي التي كانت من الباحثين الجادين- وكم هم قليلون- في الجامعة الجزائرية.

كان آخر نشاط لها هو حضورها في الندوة العلمية التي نظمها مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران- حول التاريخ والمؤرخين الجزائريين عبر العصور يومي 7 و8 ديسمبر 2011م بقسم التاريخ، حيث أشرفت على تنظيم الندوة، وتكفلت بإنجاحها من خلال نشاطها الدؤوب طيلة يومين إلى درجة أنها كانت تنفق من مالها الخاص عندما احتاج المحاضرون إلى تناول بعض المشروبات الساخنة والحلويات خلال فترات الاستراحة، وألحت على القيام بذلك.

لقد كانت الأستاذة تالية سعدو مثالا للباحثة الجادة والمؤمنة بضرورة الارتفاع بمستوى الجامعة الجزائرية وبالبحث العلمي بها إلى مصاف الدول المتقدمة، وكانت حريصة على المشاركة في هذا المجهود من خلال انتمائها إلى مختبر تاريخ الجزائر ومشاريع البحث المختلفة التي اقترحتها منذ مناقشتها لمذكرة الماجستير في سنة 2005م.

وكانت قبل ذلك قد ساهمت في تكوين آلاف أبناء الجزائر حيث اشتغلت أستاذة لمادة العلوم الاجتماعية بثانوية الحياة- وهران- منذ حصولها على شهادة الليسانس في التاريخ من معهد التاريخ- جامعة وهران- سنة 1985م.

لقد كانت الأستاذة سعدو أختا بالنسبة لأقرانها من الأساتذة، وأمَّا بالنسبة لطلبتها في جامعتي ابن خلدون بتيارت وجامعة سعيدة، والكل يشهد لها بالاستقامة والجدية والأخلاق الحسنة.

رحمك الله أختي العزيزة، وأسكنك فسيح جناته، وألهم ذويك الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

الأستاذة تالية سعدو في سطور:

الاسم واللقب: تالية سعدو

تاريخ ومكان الميلاد: 30-05-1959 في سعيدة.

عنوان العمل: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة ابن خلدون- تيارت.

الرتبة: أستاذة مساعدة أ في تاريخ الغرب الإسلامي.

موضوع الدكتوراه (في طور الإنجاز): الحياة الاقتصادية في الأندلس على عهد الأمويين (138-422هـ/756-1031م)

الشهادات العلمية:

نوعها	تخصص	تاريخ الحصول عليها	المؤسسة	ملاحظة
ليسانس	تاريخ	1985	جامعة وهران	بدون
ماجستير	تاريخ العصور الوسطى	2005/11/26	جامعة وهران	مشرف جدا

* النشاطات البيداغوجية:

- أستاذة مادة العلوم الاجتماعية في التعليم الثانوي- ثانوية الحياة- وهران من 1985 إلى 2006م.

- أستاذة مساعدة ب في تاريخ المغرب الإسلامي- معهد التاريخ- جامعة ابن خلدون تيارت-منذ سبتمبر سنة 2006م.

- أستاذة مستخلفة بمعهد العلوم السياسية- جامعة سعيدة خلال السنة الجامعية 2009-2010.

* النشاطات العلمية:

* الملتقيات الدولية:

- المشاركة في الملتقى الدولي حول مدينة وهران المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف يومي 2 و3 أبريل 2008م بجامعة العلوم والتكنولوجيا- وهران- بمحاضرة عنوانها "مدينة وهران من خلال المصادر العربية".

– المشاركة في الملتقى الدولي حول شخصية الشيخ يحي العيدلي المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف يومي 19 و20 ماي 2010م في بجاية بمحاضرة عنوانها "تلامذة الشيخ يحي العيدلي: الشيخ أحمد زروق نموذجا".

* الملتقيات الوطنية:

– المشاركة في الملتقى الوطني المنظم من طرف جامعتي أحمد دراية –أدرار– وابن خلدون– تيارت– يومي 14 و15 أبريل 2009م بمحاضرة عنوانها " العلاقة بين منطقة توات ومراكش على عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي".

– المشاركة في الملتقى الوطني حول التاريخ السياسي والحضاري لمنطقة تيارت المنظم من طرف جامعة ابن خلدون بتيارت يومي 4 و5 ماي 2009م بمحاضرة عنوانها: "مدينة تاهرت من خلال المصادر الجغرافية العربية".

– المشاركة في الملتقى الوطني الرابع حول تاريخ الأمازيغ المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بمدينة بجاية يومي 14 و15 جوان 2009م بمحاضرة عنوانها: "مساهمة البربر في الحركة الفقهية بالعدوة الأندلسية".

– المشاركة في الملتقى الوطني حول التاريخ السياسي والحضاري لمنطقة تيارت المنظم من طرف جامعة ابن خلدون بتيارت يومي 13 و14 أبريل 2010م بمحاضرة عنوانها: "مساهمة المرأة الإباضية في الحركة الفكرية الإباضية بتاهرت الرستمية".

– المشاركة في اليوم الدراسي المنظم من طرف جامعة ابن خلدون بتيارت يوم 10 ماي 2011م بمداخلة موسومة بـ"الدور العلمي والثقافي لتاهرت على عهد الرستميين".

– المشاركة في الملتقى الوطني الذي نظمته بلدية عشعاشة وجمعية نشاطات الشباب إقرأ بالتعاون مع مخبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران حول "جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر: مجازر جبال الظهرة نموذجا" في مدينة عشعاشة (ولاية مستغانم) يومي 18 و19 جوان 2011م بمحاضرة عنوانها: "محرقة أولاد رياح من خلال المجلة الإفريقية".

* المقالات الوطنية:

1– مدينة تاهرت من خلال المصادر الجغرافية- مجلة الخلدونية- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- عدد خاص- أكتوبر 2009م- صص34-42.

2- الحركة الفكرية في الدولة الرستمية ومساهمة المرأة فيها- مجلة عصور الجديدة- مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران- العدد 1- ربيع 1432هـ/2011م- صص63-75.

* نشاطات البحث العلمي:

1- رئسة المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة ابن خلدون- تيارت منذ عام 2010م.

2- عضو في مشروع بحث وطني حول موضوع "دور البربر في تاريخ وحضارة الأندلس"(2008- 2010م).

3- عضو في مشروع بحث وطني حول "مصادر ومراجع المغرب الأوسط في العصر الوسيط" منذ 2 ماي 2011م.

4- عضو في فرقة بحث حول التراث التاريخي الجزائري في مختبر بحث وطني عنوانه: "تاريخ الجزائر"- جامعة وهران- منذ 2008م.

5- عضو في مشروع بحث وطني حول موضوع "فتنة القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بالأندلس ودور البربر المغاربة فيها" منذ 2012/01/01م.

* النشاطات البيداغوجية:

السنة الجامعية	المؤسسة الجامعية	الكلية أو المعهد	محاضرة	تطبيق
2006-2007	ج.تيارت	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	تاريخ العرب	تاريخ العرب+ ما قبل التاريخ
2007-2008	ج.تيارت	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	تاريخ العرب	تاريخ العرب+ جغرافيا عامة
2008-2009	ج.تيارت	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	تاريخ العرب	تاريخ العرب+ جغرافيا عامة
2009-2010	ج.تيارت ج.سعيدة	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية معهد العلوم السياسية	تاريخ العرب	قضايا عربية الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي تاريخ الفكر السياسي
2010-	ج.تيارت	قسم التاريخ	صدر	قضايا عربية

2011			الإسلام	الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي
2011-2012	ج.تيارت	قسم التاريخ	صدر الإسلام	قضايا عربية الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي

* عرض وتقديم مذكرة الماجستير:

العنوان: الجيش الأندلسي على عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)

تاريخ أول تسجيل: 2001م.

تاريخ المناقشة: 2005/11/26م.

مكان المناقشة: قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- جامعة وهران.

بدأت الباحثة مذكرتها بمقدمة جاء فيها "لقد استمر تواجد المسلمين في الأندلس نحو ثمانية قرون، واشتهر خلالها العديد من الأمراء والخلفاء الذين كانت لهم العديد من الإنجازات والمآثر، ومن أبرز الشخصيات عبد الرحمن الناصر لدين الله"، ثم ذكرت الظروف التي وصل فيها الناصر إلى سدة الحكم، وبينت كيف تمكن من تكوين جيش قوي نجح بفضله في إخماد نيران الفتنة، وتوحيد الأندلس من جديد، وفرض هيبتها على ممالك النصارى المنتشرة في الشمال.

ذكرت الباحثة الهدف من اختيارها لهذا الموضوع، وهو محاولة إبراز أهم التغيرات التي طرأت على القوات البرية والبحرية على عهد عبد الرحمن الناصر.

إشكالية البحث:

ما هي الدوافع الحقيقية التي جعلت الخليفة الناصر يهتم بالجيش ويوليه هذه العناية الفائقة؟

ما هي الأهداف التي سعى إلى تحقيقها من خلال بناء القواعد البحرية؟

ما هو الدور الذي لعبته تلك القواعد في الدفاع عن السواحل الأندلسية؟ وهل كانت سياسة الناصر الحربية ناجحة في إخضاع الثوار والمنتزين في الداخل، ومواجهة التكالب المسيحي بالخارج؟ وإلى أي مدى نجح في ذلك؟

ثم ذكرت الباحثة الرسائل الجامعية والدراسات غير الأكاديمية التي تطرقت إلى موضوع الجيش، وتوصلت إلى أن هذا الموضوع لم يحظ في المغرب الإسلامي عامة والأندلس خاصة بدراسة متخصصة وواسعة مقارنة بالمواضيع السياسية والاقتصادية والأدبية، وهو العامل الذي شجع الباحثة على الخوض في غماره.

قسمت الباحثة عملها العلمي إلى مدخل وثلاثة فصول، تناولت في المدخل الجيش في الأندلس قبل سنة 300هـ/912م، وتحدثت فيه عن اهتمام الأمراء الأمويين بتنظيم الجيش ودعمه، وتقويته بالأسلحة والرجال، وحاولت الوقوف عند مجهود كل واحد من هؤلاء الأمراء (صص2-21).

أفردت الفصل الأول الموسوم بـ"عوامل تطوير عبد الرحمن الناصر لنظام الجيش" لدراسة عوامل تطوير عبد الرحمن الناصر لنظام الجيش، ومنها التهديد النورماندي المتواصل على سواحل الأندلس الغربية والجنوبية الغربية، والرغبة في تقوية مركزه السياسي، ومواجهة التمردات الداخلية التي قام عمال الكور، والأخطار الخارجية المتمثلة في هجمات النصارى على دار الإسلام من جهة، واستفحال الخطر الفاطمي على السواحل الجنوبية والشرقية للعدوة الأندلسية من جهة أخرى (صص23-57).

وتناولت في هذا الفصل العناصر التالية:

- العوامل الداخلية
- العوامل الخارجية: أ- الخطر المسيحي في الشمال.
  ب- الخطر النورماندي.
  ج- الخطر الفطمي.

وخصّصت الباحثة تالية سعدو الفصل الثاني الموسوم بـ: "تنظيم الجيش" لموضوع تنظيم الجيش بقسميه البري والبحري على عهد عبد الرحمن الناصر، وتناولت فيه أهم التنظيمات والمناصب والخطط العسكرية، حيث تحدثت عن القيادة الجند وصاحب الخيل وصاحب اللواء وصاحب العسكر والعارض والطبالين وغيرهم، كما تناولت في هذا الفصل الأساليب القتالية والحملات العسكرية والصوائف، ثم عرّفت بالأسلحة والزي الحربي، كما تعرّضت فيه أيضا لتنظيم الجيش البحري من قيادة ونواتية ورؤساء وقطع الأسطول، وأهم دور صناعة السفن والقواعد البحرية، وأنهت الفصل بالحديث عن أعطيات الجند (صص59-119).

وعالجت في هذا الفصل العناصر التالية:

أولا: الجيش البري: أ- التنظيمات والمناصب العسكرية والخطط.

ب- التنظيمات التعبوية والمراسم.

ثانيا: البحرية الإسلامية على عهده وأعطيات الجند.

وتناولت الباحثة في الفصل الثالث الموسوم بـ"نتائج سياسة الناصر الحربية" أبرز نتائج السياسة الحربية لعبد الرحمن الناصر، ومنها استعادة الوحدة السياسية للدولة، ومقارعة خصومها في الخارج، وبخاصة منها ممالك ليون ونبارة، إضافة إلى التصدي للخطر الفاطمي الشيعي الذي كان يهدد سواحل العدوة الأندلسية (صص121-153).

وعالجت في هذا الفصل العناصر التالية:

– استعادة الوحدة السياسية.

– مقارعة الخصوم الخارجيين: أ- الخطر الفاطمي.

ب- الخطر المسيحي.

وأنهت الباحثة دراستها بخاتمة ضمّنتها أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها:

* نجاح عبد الرحمن الناصر في القضاء على ضعف العدوة الأندلسية، وتخليصها من الأخطار المحدقة بها وجمع شتاتها، وذلك من خلال الأعمال التالية:

– إصلاح الجيش الذي أنهكه التصدي للثورات والتمردات، والعمل على تجديده وتدعيمه من خلال جلب أفراد الجند من مختلف أنحاء الأندلس، واستكثار الأسلحة والذخائر.

– الاعتماد على الصقالبة، وتعيينهم في المناصب العليا في القصر والإدارة والجيش.

– العناية بالبحرية ورفع مستواها لكي تتمكن من منافسة خصوم الأندلس في مجال الصراع البحري، وذلك من خلال تقوية الأسطول، والإكثار من بناء السفن الحربية، وإنشاء عدد كبير من دور الصناعة البحرية، وبذلك كان الناصر المؤسس الحقيقي للقوة البحرية الأندلسية التي تمكن الأمويون بفضلها من السيطرة على الثغور المغربية المطلة على مضيق جبل طارق، ومنها سبتة ومليلة.

– القضاء على الفتن الداخلية والثورات التي كان العرب والبربر والمولدون يتزعمونها معتمدا في ذلك على سياسة مرنة اتسمت بالقوة والحزم حينا وباللين والاعتدال حينا آخر، وبفضل

هذه السياسة استعاد الاستقرار والأمن، ووحد الجبهة الداخلية، وبخاصة بعد قضائه على ثورة المولدين بقيادة عمر بن حفصون التي تعتبر أطول ثورة عرفتها العدوة الأندلسية.

– مواجهة نصارى الشمال الذين أصبحوا يشكلون خطرا على الوجود الإسلامي في الأندلس، وبخاصة بعد أن توحدت جهود ملوك ليون ونبارة، والنجاح في التغلب عليهم وإخضاعهم لسلطانه.

– مواجهة الخطر الفاطمي الذي كان يهدد الجانب السياسي والديني لقرطبة في آن واحد، وتبني استراتيجية خاصة اقتضت استعمال السياسة من خلال إضفاء لقب الخلافة على نفسه والتزيّ بزيها سنة 316هـ/928م، ومحاربته عسكريا بشكل غير مباشر من خلال اصطناع ملوك ورؤساء القبائل البربرية في بلاد المغرب ليكونوا حلفاء له وأعوانا يضعفون نفوذ خصومه العبيديين، وبذلك نجح في رد خطرهم.

وخلصت الأستاذة تالية سعدو في آخر بحثها إلى التأكيد على نجاح عبد الرحمن الناصر في إقرار الأمن بالأندلس، وتخليص بلاده من الفوضى التي أنهكتها، ورد كيد الأعداء وبخاصة منهم الإسبان والعبيديين، ونتيجة لكل ذلك عرفت الأندلس على عهده رخاء وازدهارا كبيرين حيث ارتفعت مداخيلها وزادت إيراداتها، وتكامل للأندلس القوة والرخاء، وسادها الاستقرار والسلام في عهده، وذلك- كما تقول الباحثة في نهاية بحثها- بفضل: "حكمته في التسيير، وصرامته في القيادة، ومرونته في التعامل مع الأحداث الداخلية، وصلابته في مواجهة الخطر الخارجي، وجمعه بين الجهاد ومواجهة الأعداء، وبين إقامة الدولة وتقوية مؤسساتها، وتوسيع إيراداتها".

وقد اعتمدت الباحث تالية سعدو في معالجها لفصول البحث على المنهج التاريخي المقارن حيث عمدت إلى مقارنة النصوص التاريخية المختلفة، وتحليلها من أجل الوصول إلى وضعية الجيش الأندلسي على عهد عبد الرحمن الناصر.

ومن أجل التحكم في مختلف فصول البحث، ومعالجته بالشكل اللائق اعتمدت الباحثة على عدد من المصادر العربية المتخصصة، ومن أبرزها تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر ابن القوطية المتوفى سنة 367هـ/977م، والمقتبس في أخبار الأندلس لابن حيان القرطبي المتوفى سنة 469هـ/1076م، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي المتوفى سنة 712هـ/1312م، وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب لسان الدين المتوفى سنة 776هـ/1374م، وكتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام لنفس المؤرخ،

وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لمؤلفه عبد الرحمن ابن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1406م.

ومن كتب الجغرافيا التي اعتمدت عليها الباحثة المسالك والممالك لأبي عبيد البكري المتوفى سنة 487هـ/1094م، وكتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك لأحمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي المتوفى سنة 478هـ/1085م، ومعجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ/1228م، وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري محمد بن عبد الله المتوفى سنة 866هـ/1461م.

كما اعتمدت الباحثة على كتب التراجم، ومنها تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي، وبغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس للضبي، وكتب الأدب، ومنها كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب للمقري أبو العباس أحمد، كما اعتمدت على كتاب سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي وكتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي، إضافة إلى مصادر ومراجع أخرى بلغ عددها مائة واثنين وعشرين مؤلفا.

وضمّنت الباحثة تالية سعدو مذكرتها عددا هاما من الملاحق من خرائط ورسوم توضيحية لملابس الجند وأسلحته، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية المستعملة في الدراسة.

آخر نشاط علمي شاركت فيه الأستاذة سعدو تالية- إحياء ذكرى محرقة غار الفراشيش

مداخلات الندوة العلمية

المداخلات في التاريخ الوسيط

يحي بن خلدون
وكتابه بغية الرواد

أ.د عبد الحميد حاجيات*

يمكن القول بأن ما تهَيَّأ ليحيى بن خلدون من تكوين أدبي وعلمي، كان يناسب تمامًا وظيفة كاتب السِّرِّ للسلطان الزياني. وذلك أنه كانت تتوفر فيه الشروط المطلوبة من علماء وأدباء البلاط، من رزانةٍ وذكاء واستقامةٍ، وأناقة في الأسلوب، ونبوغ في سائر فنون الأدب، وقدرةٍ على منافسة أشهر شعراء بلاط أبي حَمُّو الثاني[1]. وعلاوة على ذلك، فإن يحيى ابن خلدون كان قد حصل على تجربة هامَّة في مجال الحياة السياسية. وذلك أنه شغل منصب حاجب للأمير أبي عبد الله الحفصي في بجاية. وكان يعرف جيدًا حياة العرب البدو وتقاليدهم، واطلع عن كثب، أثناء إقامته صحبة أخيه عبد الرحمن عند ابن مُزني، في ناحية بسكرة، على المشاكل التي كانت تنجم عن الوضعية التي خلقها وجود العرب البدو في بلاد المغرب، وعلى الدور السياسي الهامّ الذي كان هؤلاء يقومون به آنذاك.

ومن بين المهامّ التي كانت تسند عادة لكاتب السِّرِّ تسجيلُ أمجادِ عهدِ السلطان، ومفاخر دولته، وبطولات جيوشه، وذكر الأحداث الشهيرة في حياة البلاط، وتدوين كل ذلك، مستعمِلاً أسلوب العصر الأدبي، وما يمتاز به مِن تصنع وتكلفٍ. ثم إن كاتب السرِّ كان يكلف أيضا بإنشاء مراسلات السلطان ذاتِ الطابع السرِّيّ، كما أنه كان يُطلب منه كتابة عقود تولية الولاة والرسائل الرسمية[2].

وهكذا، يبدو جَليًا أن وظيفة يحيى بن خلدون هذه كانت تجعله في جَوٍّ ملائم لإنتاجٍ أدبي غنِيٍّ ومتنوِّع[3]. ومن المؤسف أن الرسائل التي كتبها يحيى ابن خلدون أثناء قيامه بتلك الوظيفة لم تصل إلينا. غير أن أهمَّ إنتاجه لم يَضِع، ويتمثل في بعض القصائد الشعرية، وكتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، الذي نحن بصدد تحقيقه ونشره.

* – أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب الإسلامي– قسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة أبو بكر بلقايد– تلمسان.

1-تاريخ تأليف "بغية الرواد" وعنوانه: يواجه الدارس لكتاب "بغية الرواد" تساؤلاتٍ عديدة، وبعضها يصعب الجواب عليه. ويمكن اعتبار أن هذا الكتاب، الذي لم يَتِمَّ تأليفه، كان من المُحتمَل جدا أن يُدخِلَ عليه مؤلفه بعض التعديلات، لو كُتِبَ له المزيد من العمر[4]. وأوّل تساؤل يخصُّ تحديد تاريخ تأليف الكتاب والظروف التي كُتِبَ فيها. ومن الصعب الإجابة على هذا التساؤل، إذ ليس لدينا أي دليل يمكن الاعتماد عليه لضبط تاريخ شروع يحيى ابن خلدون في كتابة "بغية الرواد"، بصفةٍ يقينية. إلاَّ أن ذلك لا يمنعنا من البحث عن بعض القرائن التي قد تساعد على تسليط بعض الأضواء في هذا الموضوع، من خلال دراسة هذا الكتاب.

وقد ذكر يحيى ابن خلدون في مقدمة كتابه أنه امتثل لأمر السلطان عندما قام بتأليف "بغية الرواد"[5]. غير أنه لم يحدد التاريخ الذي صدر فيه هذا الأمر. فهل يُفهَم من هذا أنه ألف القسم الأكبر من كتابه أوعلى الأقل، الجزء الأول منه، أثناء إقامته الأولى في بلاط أبي حَمُّو (769-772هـ)؟ أو هل ينبغي اعتبار تاريخ تأليفه بعد ذلك، أي أثناء مُقام المؤلف في البلاط المريني (772-776هـ)، أو أثناء الإقامة الأخيرة بتلمسان (776-780هـ) ؟[6].

وقد يبدو من المُحْتمَل أن يكون يحيى ابن خلدون قد فكر في إنجاز هذا العمل، وبدأ بجمع الوثائق الضرورية، أثناء إقامته الأولى في البلاط الزياني. وعلى سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى الفصل الثاني من الباب الأول من القسم الأول، الذي يتضمّن تراجم علماء وصلحاء تلمسان. فهو، من دون شك، يتطلب إجراء أبحاثٍ طويلةٍ في عين المكان، والحصول على معلومات كثيرة من خلال الحديث مع المثقفين وكبار أهل المدينة، أثناء إقامة تمتد أشهرًا عديدة أو سنوات. وكذلك الأمر بالنسبة لجمع القصائد الشعرية الكثيرة، التي نظمها شعراء البلاط، أو السلطان أبو حمُّو نفسه.

غير أن هناك بعض القرائن، التي قد تجعلنا نرجِّح عملية تأليف الكتاب، وحتى الجزء الأول منه، إلى ما بعد احتلال السلطان عبد العزيز المريني لتلمسان (محرم سنة 772هـ)[7]. ويبدو من الأنسب الاعتقاد أن تأليف القسم الأول من "بغية الرواد" كان بعد وفاة السلطان عبد العزيز المريني، أي خلاّل سنتي 774-775هـ، وذلك أنه يقع في فترة غنيَّة من حياة المؤلف، من الناحية الثقافية، إذ أنها تمتاز بجوٍّ ملائم جدا للإنتاج الأدبي. وتلك الفترة هي التي كان ينعم فيها بصحبة أخيه عبد الرحمن، وبصداقة لسان الدين ابن الخطيب. وقد سبق لنا أن أشرنا إلى ما كان لهذا الأخير من تأثير عميق على يحيى بن خلدون وأخيه عبد الرحمن. فكان نبوغه في

ميادين الأدب، من شعر ونثر وتاريخ وغير ذلك، وانصرافه إلى التأليف في ذلك كله، يدعو الأخوَيْن إلى الاتصال به، بالإضافة إلى انتمائهما إلى أصل أندلسي مثله، ممّا كان يساعد على توثيق عرَى صداقةٍ كانت تربطهما به منذ حوالي عشر سنوات[8].

وكان لسان الدين قد التجأ إلى البلاط المريني في أواخر سنة 772هـ، فارًّا من غضب سلطان غرناطة، نتيجة مؤامرة حاك خيوطها ابن زمرك وأصدقاؤه[9]. ولا شك أن ما كان يتمتع به من صَيْتٍ ذائع، وعلوّ كعبٍ في فنون الأدب والتاريخ، وما كان قادرًا على تقديمه من مساعدة للأدباء الناشِئين، قد حثَّ يحيى ابن خلدون وأخاه عبد الرحمن على ملازمته، والاستفادة من اللقاءات التي كانت تجمع بينهم، وما كان يجري فيها من محادثات أدبية ونقدٍ للإنتاج الثقافي المعاصر، وعرض لما جادت به القريحة من نثر أو شعر.

ويبدو جَلِيّا من هذه الاعتبارات أن السنوات الثلاث التي قضاها يحيى ابن خلدون في البلاط المريني بتلمسان ثم بفاس (773–776هـ)، كانت حاسمة في اتجاهه، واتجاه أخيه عبد الرحمن، إلى التأليف في التاريخ[10]. فكان إنتاجهما، مثل إنتاج ابن الخطيب، ممّا يُهْدى إلى سلاطين دول المغرب الإسلامي المعاصرين لهم. وكأنهم كتبوا لغرض الدلالة على ولائهم لأولئك الملوك، وربما أيضًا ليبرهنوا على سعة اطلاعهم وبلاغتهم، أكثر ممّا كتبوا لغرض البحث النزيه. وإذا كان هناك هدف رئيسي يراعيه المؤلف في معظم هذا الإنتاج، فإنما هو العمل على مداراة السلطان الذي يُهْدَى إليه الكتاب، وإظهار عهده في أجمل حلة للأجيال القادمة[11].

ومن المحتمَل جدًا أن كتاب "بغية الروّاد"، الذي ألف لذكر أمجاد عهد أبي حمُّو الثاني، لم يبرز إلى الوجود لولا رغبة يحيى ابن خلدون في استرجاع منصبه في البلاط العبد الوادي، والحصول على رضى سلطان تلمسان. وهكذا، يكون الشروع في تأليفه عندما ساءت الأحوال السياسية بفاس، كما سبق ذكره[12]، بينما كان السلطان أبو حمُّو قد أعاد الاستقرار والأمن في معظم مناطق مملكته، وأعاد إلى عاصمته ودولته حياة جديدة. ولا شك أن قلق يحيى ابن خلدون قد اشتدَّ بعد أن ألقِيَ القبض على لسان الدين ابن الخطيب (شوال 775هـ)، وأن رغبته في معادرة فاس، والعَودة إلى تلمسان قد ازدادت تأكدًا، إلى أن قتِلَ ابن الخطيب فاستحالت إلى تصميم لا رجوع فيه.

وكان على يحيى بن خلدون أن ينال من السلطان الزياني رضاه وعفوه على ما صدر منه، منذ ثلاث سنوات، من الالتحاق بالبلاط المريني بتلمسان أوّلاً، ثم بفاس. والجدير بالملاحظة أن الجزء الثاني والأخير من "بغية الروّاد " ينتهي إلى آخر سنة 776هـ، ممّا يجعلنا لا نستبعِد أن يكون تقديم الكتاب للسلطان أبي حمُّو قد وقع في أوائل سنة 777هـ، أي بعد عودة المؤلف بحوالي سنة، وفي وقتٍ كانت قد عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي في المملكة الزيانية، واستعادت بعض رونقها ونفوذها[13].

واستنتاجًا من هذه الاعتبارات، يبدو من الأرجح أن نحدد تاريخ إنهاء تأليف الجزء الأول من "بغية الرواد" في أوائل سنة 776هـ، أي في آخر الإقامة بفاس، أو في أوائل الإقامة الأخيرة بتلمسان، وتاريخ الانتهاء من كتابة الجزء الثاني في أوائل سنة 777هـ[14].

وهناك إشكالية أخرى تتعلق بعنوان الكتاب. وذلك أن بعض المخطوطات أوردت عنوان "نجعة الروّاد" عِوَض عنوان "بغية الروّاد" الذي اشتهر به الكتاب. وقد ورد ذكر العنوان بعبارة "نجعة الروّاد" في مقدمة أربع نسخ من المخطوطات العشر التي رجعنا إليها في تحقيق الكتاب، وهي التي استعملنا للدلالة عليها الرموز التالية : ح ، ل، ر، س. والغالب على الظن أنها كانت واردة أيضًا في مقدمة نسخة ب، المبتورة الصفحات الأولى، لِما بينها وبين نسخة ح، من تقارب كبير في النص. وورد كذلك هذا العنوان في آخر الجزء الأول من النسخ التالية : ب، ح، ل، ر[15].

غير أن عنوان "بغية الرواد" قد ورد في النسخ الخمس التي تدلُّ عليها، في نشرتنا هذه، الرموز التالية : ج، ط، ق، ز، ش، وكذلك في آخر الجزء الأول من نسخة س، وفي آخر الجزء الثاني من جميع النسخ. ويلاحظ أن النسخ التي ورد فيها عنوان "نجعة الروّاد"، هي أقدم المخطوطات، وأن هذا العنوان قد أثبت غالبًا في أوّلها، ثم عُوِّضَ في آخر الجزء الأول من نسخة س، وفي آخر الجزء الثاني من النسخ الأخرى كلها بعنوان "بغية الروّاد".

ولذا، فلا يُسْتبْعَد أن يكون يحيى ابن خلدون قد أطلق على كتابه، بادِئ ذي بَدءٍ، عنوان "نجعة الروّاد"[16]. ثم بَدا له أثناء تأليفه للكتاب أن يغيّره ويعوّضه بعنوان "بغية الرواد"، الذي هو أجمل وأفصح[17].

2-مضمون الكتاب: لا شك أن القارئ يتبيَّن، من عنوان الكتاب التامّ، "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، أن الموضوع المطروق فيه هو تاريخ الدولة الزيانية، من نشأتها

إلى عصر المؤلف. غير أن يحيى ابن خلدون يتجاوز، في كثير من الأحيان، هذا الإطار الضيِّق، ليعالج مسائل هامشية، ليست من صميم الموضوع. وهذا، إن دلَّ على شيء، فإنما يدلُّ على أفق أوسع في نظرية التاريخ عند يحيى ابن خلدون، بالنسبة لكثير من كتَّاب عصره[18]. وقد ذكر المؤلف في المقدمة أنه ألف كتابه بأمر من السلطان الزياني، لغرض تخليد أمجاد ملوك الدولة العبد الوادية، وبخاصَّةٍ عهد أبي حَمُّو الثاني. وتنتهي المقدمة بفهرست الكتاب، الذي يشتمل على ثلاثة أقسام.

فالقسم الأول يشكل مقدمة طويلة للموضوع، تتضمَّن دراسة يراها المؤلف ضرورية لتاريخ هذه الدولة، حول أصل قبيلة بني عبد الواد، وماضيها قبل تأسيس الدولة. ولأجل ذلك، فهو يبدأ بوصف البلاد التي شملتها مملكتهم، وبخاصَّةٍ عاصمتهم تلمسان. ويستدلُّ على فضل هذه البلاد في الإسلام بأحاديث ورد فيها ذكر المغرب، وبما يرجى من أهمِّيَّة الدور الذي يقوم به في نصرة الإسلام[19].

ثم يتناول وصف مدينة تلمسان العتيقة، وموقعها الطبيعي الجميل، اعتمادًا على البكري والزهري، ويورد، في صدد هذا الوصف، بعض القصائد التي نظمها شعراء مشهورون في التغني بروعة جمالها ومجدها[20]. ثم ينتقل إلى استطراد طويل حول العلماء والصلحاء الذين ولدوا بتلمسان ونشؤوا فيها، أو نزلوها وتوفوا بها، منذ حوالي القرن الخامس الهجري.

وينتهي الباب الأول بفصل يتضمَّن نظرة عامَّة وموجزة، حول تاريخ تلمسان قبل تأسيس الدولة العبد الوادية، وذكر الدول التي ملكت ناحيتها منذ الفتح الإسلامي، مع إبداء بعض العناية بدولة الأدارسة، الذين يعتبرون أجدادًا لملوك بني عبد الواد، حسب الرأي الشائع بين علماء البلاط بتلمسان.

ثم يتناول المؤلف، في الباب الثاني، دراسة الدور الذي قامت به قبيلة بني عبد الواد في تاريخ المغرب، قبل تأسيس دولتهم، وذلك بعد أن ذكر المؤلف آراء النسابة والمؤرخين العرب حول أصل البربر، وهو لا يشك، على ما يبدو، في صحَّةِ انتساب ملوك بني عبد الواد إلى الأدارسة[21]. بل يحاول تدعيمها بحُجَج فقهيَّةٍ، لإبطال آراء مَن نفى صِحَّة هذا النسب[22].

وفي الباب الثالث يتعرَّض إلى الأوضاع التي مكنت بني عبد الواد من الاستقرار بناحية تلمسان، وما أدَّى إليه ذلك من ضغط قويّ على المدينة إبَّان انهيار النفوذ الموحِّديّ، ثم تحوَّل ذلك إلى الاستيلاء عليها وعلى ناحيتها بفضل جرأة رؤساء القبيلة. وبانتقال الرئاسة إلى

يغمراسن بن زيان تحوَّل الحكم إلى إمارة مستقلة، ودخلت قبيلة بني عبد الواد وتلمسان عهدًا جديدًا.

ويتضمَّن القسم الثاني أيضًا ثلاثة أبواب، خصِّصَ أولها لذكر عهد يغمراسن وابنه أبي سعيد، ثم ثلاثة أمراء، من نسل هذا الأخير[23]. وينتهي هذا الفصل الهامّ بذكر تغلبِ السلطان أبي الحسن المريني على إمارة تلمسان. والجدير بالملاحظة أن يحيى ابن خلدون لا يولي أهمِّيَّة لتاريخ تلمسان أيام أبي الحسن المريني (737–749هـ) وابنه أبي عنان (753–759هـ)، رغم ما كان لتلمسان آنذاك من دور هامّ في تاريخ المغرب، وما تخلل ذلك من إنجازاتٍ عمرانية لا يستهان بها. والظاهر أن السبب في موقف المؤلف هذا، هو أن الغرض من تأليفه هو تمجيد الدولة العبد الوادية، فلا داعي لذكر أمجاد وأخبار منافسيهم المرينيين. والباب الثاني يتناول الظروف التي أدَّت إلى إحياء الدولة العبد الوادية على يد الأخوَيْن الأميرَيْن أبي سعيد الثاني وأبي ثابت. وبذكر عهد هاذيْن الأميرَيْن، في الباب الثالث من هذا القسم، ينتهي الجزء الأول من كتاب "بغية الروَّاد ".

أمَّا الجزء الثاني، الذي يشكل القسم الثالث من الكتاب، فقد خصّصَ كله لذكر عهد أبي حَمّو الثاني، إلى آخر سنة 776هـ. وهنا أيضًا يلجأ المؤلف إلى التقسيم إلى ثلاثة أبواب، تناول في أولها ذكر الخلال الحميدة التي اتصف بها أبو حَمُّو، وفي الثاني عرض حياة أبيه وأسلافه، الذين لم يكن لهم حظٌّ في الإمارة، إلى يحيى بن يغمراسن، منتهيا بحياة أبي حمُّو الثاني قبل الإمارة، والحركة الموفقة التي حققت إلى رغبته في إحياء الدولة الزيانية مرَّة ثانية[24]. ثم في الباب الثالث، وهو أضخم بابٍ في الكتاب، تعرَّضَ إلى تاريخ عهد أبي حمو الثاني، متبعًا نظام السنوات، إلى آخر سنة 776 هـ وفي هذا الباب ذكر مفصَّل لأخبار النصف الأول من عهد أبي حمو، إلاَّ أن العرض، في كثير من الأحيان، مُثقل بما يضاف إليه من استطرادات، الغرضُ منها الترفيه على القارئ وتسلِيَته، وذلك مثل القصص الفارسية المقتبَسَة من كتاب "سلوان المطاع" لابن ظفر[25] وكثير من القصائد الشعرية.

وينتهي الجزء الثاني من "بغية الرواد " بذكر حوادث آخر سنة 776هـ غير أننا نجد، في بعض النسخ المخطوطة، ملحَقًا صغيرًا، يتناول ذكر حوادث أول سنة 777هـ وهذا الملحق لا يوجد في أقدم النسخ. ثم إن أسلوبه يختلف عن أسلوب يحيى ابن خلدون بصفة محسوسة، ممَّا يجعلنا نرجح أنه من وضع بعض النسَّاخ.

3-مصادر "بغية الرواد "

يختلف الأمر بالنسبة لموضوع مصادر "بغية الروّاد" حسب أبواب الكتاب وفصوله. فإذا كان الجزء الثاني يعتمد خاصّة على أخبار رواها بعض مَن شهدها من المعاصِرين لها، ومن بينهم المؤلف، وعلى رسائل رسميَّة متبادَلة بين أمراء المغرب الإسلامي[26]، فالجزء الأول، في أغلب فصوله، يستقي المعلومات من مصادر مكتوبة متنوّعة وعديدة، إذ أنه يعالج مسائل أقلّ اختصاصًا بالأمراء الزيانيين. ويذكر يحيى ابن خلدون، في كثير من المواطن، المصادر التي اعتمد عليها، وخصوصًا عندما يريد تدعيم الآراء التي يسوقها للقارئ، وإقامة الأدلة في المسائل المختلف فيا. فمثلاً، عندما تناول الإطار الجغرافي الذي نشأت فيه الدولة العبد الوادية، وذكر حديث "لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة"، لجأ إلى ذكر بعض المحدثين المشاهير، كمسلم والدارقطني وبَقِي بن مَخلد وعُبَيْد الله الهروي، لتأييد الرواية التي ساقها، مقتفيًا في ذلك آثار عدد من العلماء المغاربة ومعتمدًا بصفة خاصَّة على ابن الزيّات التادِلي، صاحب كتاب "التشوُّف"[27].

وفيما يتعلق بوصف تلمسان، يرجع يحيى بن خلدون إلى ما ورد في كتابَيْ البكريّ والزُّهْريّ، وكأنه يروي قولهما من ذاكرته، حيث إننا نلاحظ أن النص الذي يسوقه يختلف كثيرًا عن النص الأصلي من ناحية الألفاظ، غير أنه يؤدِّي المعنى بأمانة[28]. وفي ذكر تراجم علماء تلمسان وصلحائها، يبذل يحيى ابن خلدون مجهودًا أكبر في احترام الصيغة اللفظية للنصوص التي يرويها عن سابقِيهِ، مثل ابن الأبّار وابن عبد الملك المرّاكشي وابن الزيّات، وهو في أغلب الأحيان، لا يذكر المصادر التي يستقِي منها معلوماته[29].

غير أن يحيى بن خلدون يبرهن على اطلاعه الواسع لمّا يتناول موضوع أصل البربر. فهو يعرض النظريات التي أبداها في هذا المجال أشهر المؤرخين وعلماء الأنساب وغيرهم من العلماء ويحاول أن يقدِّم هذه النظريات المختلفة بوضوح وإيجاز، وقد ساعده على ذلك تكوينه الفقهي والتاريخي. ويبدأ عرضه هذا بالإشارة إلى النظريات التي تقول بانتساب البربر إلى حام ممّا رواه المسعودي والقضاعي والطبري والصولي. ثم يذكر التي تقول بانتسابهم إلى سام، من دون أن يشير إلى أسماء أصحابها. ثم يذكر بعد ذلك نظرية مالك بن المرحّل، المتوفى سنة 699هـ، التي تقول بأن البربر قبائل مختلفة من حِمْيَر ومُضَر وقِبْط وعمالقة وقريش، اجتمعت في الشام، وتقاربت لغاتها المختلفة، ممّا أدّى إلى لغة جديدة هي لغة البربر[30].

ثم ينتقل المؤلف إلى نقطة كثر حولها اختلاف العلماء، وتتعلق بالظروف التي أدَّت إلى استقرار البربر في المغرب. فيروي قول المسعودي والطبري والسهيلي المتوفى سنة 581هـ، بأن إفريقش اليمني أتى بهم في جملة جيشه عندما ملك المغرب، وتركهم به. ثم يذكر قول البكري، بأن بني إسرائيل هم الذين طردوهم من ديارهم بفلسطين، بعد موت زعيمهم جالوت على يد داود عليه السلام. وهو أيضا رأي ابن قتيبة والصولي[31].

وبعد ذكر هذه الأقوال، يورد يحيى ابن خلدون رأيا آخر لم يُشِرْ إلى قائله، ويفضله على الآراء الأخرى، ومفاده أن طائفة من قبائل البربر تنتمي إلى أصل عربي، بعضها يمني، وبعضها الآخر نزاري. ومن بين هذه الأخيرة البتر، ومن هؤلاء زناتة، أبناء برّ بن قيس عيلان. ويضيف المؤلف أن هذا الرأي قد ذكره أيضًا الطبري والبكري[32]. وهكذا فبنو عبد الواد، وهم من زناتة، ينتمون إلى قيس عيلان[33].

وعندما يصل الباحث إلى لبّ الموضوع، وهو تاريخ الدولة العبد الوادية، ويتساءل عن المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في ذلك، فإنه يلاحظ أن هذا الأخير لم يُشِرْ إلى أيِّ مصدر لتاريخ المغرب خلال القرنين السابع والثامن للهجرة. وتدعوه الحيرة إلى التساؤل عمَّا إذا كان يحيى بن خلدون قد عرف مصادر لتاريخ تلمسان وتاريخ الدولة الزيانية، مثل كتابَي ابن الأصفر وابن هَدِيَّة، وعنوان كليهما "تاريخ تلمسان"[34]، وربما أيضًا كتاب "زهر البستان في دولة بني زيان"[35]، ولم ير ضرورة الإشارة إليها في كتابه، أو أنه لم يعرف تاريخ الدولة الزيانية والحياة الفكرية بتلمسان إلا عن طريق أشياخه، مثل الآبلي، وعن طريق اتصاله بالمثقفين المعاصرين له.

غير أنه يُستبْعَد أن خزانة أبي حَمُّو الثاني كانت لا تحتوي على هذه الكتب، وأن يحيى ابن خلدون لم يتمكن من مطالعتها. وقد يكون هذا الأخير صرف عنايته كلها إلى القسم الأخير من كتابه، الذي يتضمَّن عهد أبي حمُّو الثاني. وهو، في هذا المجال، يؤرِّخ للأحداث المعاصِرة، ويقوم بدَوْر شاهدِ عِيان، لا يحتاج إلى مطالعة المصادر المكتوبة. ويلاحظ في هذا الصدد أن الجزء الأول من "بغية الرواد" جاء في غاية الإيجاز، ممَّا جعله، في بعض الأحيان، يُهْمِل ذكر بعض المعلومات الهامَّة[36].

4-نظرية يحيى ابن خلدون في التاريخ

لا شك أن نظرية يحيى ابن خلدون في التاريخ لا تمتاز بالطرافة والجدَّة التي تمتاز بها نظرية أخيه عبد الرحمن، بالنسبة للمؤرخين المعاصرين له.غير أنه لا يمكن إغفال هذه النقطة من دراستنا، لِمَا لها من صِلة وثيقة بمنهجية يحيى بن خلدون، ومن أهمِّيَّة خاصَّة في شرح بعض جوانبها.

وفي هذا الصدد، يمكن القول إن التاريخ كان يُعْتبَر في القرن الثامن الهجري، وهو عصر المؤلف، عِلمًا لا مجال للشك في جواز الاشتغال به، عند المحدِّثين والفقهاء.وكان هذا الحكم بالجواز يعتمِد أساسًا على فائدة علم التاريخ في المجال الديني والخلقي. فمعرفة أخبار الأمم والشعوب السالفة، وأعمال كبار رجالها، الذين ساهموا مساهمة فعَّالة في تطوُّر الإنسانية، بما أبدَوْه من خصال حميدةٍ أو ذميمة، وما لهم من أثر في الحياة الدنيا، من جرَّاء سلوكهم وسيرتهم، كل ذلك يشكل عِبْرَة خلقية هامَّة للأجيال القادمة[37].

وهذه الفكرة الشائعة في ذلك العصر، هي التي عبَّر عنها يحيى ابن خلدون في مقدمة كتابه، حيث إنه ذكر أن أخبار السلف عِبْرة للخلف[38]، وأن تدوين أخبار العظماء "أسوة في الفخر اللباب، وعظة وذكرى لأولي الألباب"[39].

غير أن يحيى ابن خلدون لا يعتبر هذه القصدِيَّة الخلقِيَّة عاملاً أساسيًّا لإنتاجه التاريخي، بل الغاية الأساسية في ذلك هي تخليد أمجاد أمراء الدولة العبد الوادية، وبخاصَّةٍ السلطان أبي حمُّو الثاني، الذي انصرف إلى مدحه والثناء عليه. وهكذا، فالغرض من هذا التأليف هو كتابة تاريخ دولة، والإشادة بأمجادها، وإطلاع الخلف عنها[40]. فليس الغرض، في الحقيقة، القيام ببحث نزيهٍ، يهدف إلى المعرفة الموضوعية البعيدة عن التملق للأمراء وكبار الدولة، كما كان يريده عبد الرحمن ابن خلدون[41].

ولذا، فكتاب "بغية الرواد"، الذي ألف بأمر من السلطان أبي حمُّو الثاني، يحمِل طابع عصره. فهو إنتاج عالم من علماء البلاط، كتب، قبل كل شيء، لغرض تمجيد عهد السلطان الزياني، ثم لذكر أخبار الأمراء الزيانيين الذين سبقوه[42]. وعلى هذا الأساس، ينبغي طَرح مسألة الصدق والموضوعية، عند يحيى ابن خلدون، على بساط البحث، كما ينبغي أن تطرح بالنسبة لسائر مؤرخي البلاط. وهذا يؤدِّي بنا إلى دراسة منهجيته التاريخية.

5-منهجية التاريخ عند يحيى ابن خلدون

يبدو أن هناك مظهرَيْن متميِّزيْن في كتاب "بغية الرواد". أولهما خاصٌّ بمدح السلطان والأمراء الذين سبقوه، وقد صِيغَ في أسلوب السجع المعتمِد على المحسِّنات البديعية، ويقع خاصَّة في بداية الفصول والأبواب وفي مقدمة الكتاب. وثانيهما هو مظهر كتابة التاريخ الحقيقي، ويختلف عن السابق، سواء في المبنى أو في المضمون، وهو الذي يهمُّنا بشكل خاصٍّ.

وبما أن هاذيْن المظهرَيْن يرميان إلى هدفين مختلفيْن، فينبغي التمييز بينهما في دراستنا لمنهجية يحيى ابن خلدون. فالجانب المدحي يقع على عاتق عالِم البلاط، الذي يرخي العِنان لخياله، ويتكلف الاستعارات والتشبيهات العديدة. وهذا الموقف، الخاضع لتقاليد العصر، هو الذي اتخذه سائر مؤرخي البلاط، آنذاك، أمثال لسان الدين ابن الخطيب، وابن مرزوق الخطيب، وابن الأحمر، وصاحب "الحلل الموشية"، وصاحب "زهر البستان "، وغيرهم[43]. وإذا كان يبدو جلِيّا أن هذا المظهر يكتسي طابع التذلل والتملق، فإن المظهر الثاني، على عكس ذلك، يخضع لقواعد علم التاريخ المعهودة عند العرب، والملتزمة حدود الأمانة العلمية والصدق. وعليه، فلا يسوغ للباحث أن يرفض مبدئيّا كل الأخبار الواردة في "بغية الرواد" بحُجَّة طابع الكتاب المدحي. وذلك أن يحيى ابن خلدون قد ميَّز، سواء من حيث المبنى أو المعنى، بين القسم المدحي والقسم التاريخي، وأحلَّ هذا الأخير المنزلة الأساسية في كتابه، بينما لم يترك للأول إلاَّ دور الغِلاف والزخرفة، في ذلك الإنتاج. وعلى كل، فينبغي استعمال هذا النوع من التآليف بكل ما يتطلبه من حذر ويقظةٍ، إذ لا يُعْقل أن يعالج يحيى ابن خلدون، كاتب أبي حمُّو الثاني، تاريخ الدولة العبد الوادية، وبالأخصّ عهد السلطان الذي يخدمه، من دون أن يفكر في إظهار الأحداث والوقائع في صورةٍ ملائمةٍ لأولئك الأمراء. فهو يحاول مداراة حساسيتهم، ولكنه لا يعمد، في ذلك، إلى تغيير الحقائق التاريخية، وإنما يلجأ، غالبًا إلى أسلوبٍ خفِيٍّ، ينحصر في إغفال بعض التفاصيل، أو السكوت عن بعض الأحداث. غير أن هذا الأسلوب ليس عامّا في الكتاب. فلم يتأخر يحيى ابن خلدون، مثلاً، عن ذكر أكبر هزائم أبي حمُّو الثاني، ووصْفِ أحداثها[44]. إلاَّ أننا نلاحظ، من ناحية أخرى، أنه لم يُشِرْ إلى كثير من هزائم يغمراسن[45]، كما أنه لم يصرِّح بتدهور نفوذ أبي حمُّو الثاني إثر الهزائم التي مُنِيَتْ بها جيوشه من سنة 765 إلى سنة 772هـ، من جراء انتهاز العرب البدو جميع الفرص للاستيلاء على أراضي الإمارة، والصراع الناشئ بين السلطان وابنه الأكبر أبي تاشفين.

ومن جهة أخرى، يلاحظ أن مضمون "بغية الرواد" لا يشمل جميع مظاهر البحث التاريخي، وخصوصًا القسم الخاصّ بتاريخ عهد السلطان أبي حمُّو الثاني، وهو أهمّ أقسام الكتاب، سواء من ناحية الحجم أو من ناحية قيمة المعلومات، حيث إنَّ ميدان التاريخ يكاد ينحصر في نشاط السلطان وجيوشه وحياة البلاط. أما الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فلم تحظ بعناية المؤلف، الذي أغفل التعرُّض إليها، ما عدا بعض المعلومات النادرة جدا، وردت بصفةٍ عابرة في صدد الحديث عن حياة البلاط[46].

غير أن الأمر يختلف بالنسبة للجزء الأول، الذي هو بمثابة مقدمةٍ لتاريخ عهد أبي حمُّو الثاني، حيث إن المؤلف يخصِّص مكانة هامَّة للتعرّض إلى ميادين خارجة عن الحياة السياسية، ممَّا يجعل مجال العرض أوسع وأشمل. فبعد مقدمة حول الإطار الجغرافي، ينصرف الكاتب إلى ذكر الحياة الفكرية بتلمسان فيما يزيد على مائة ترجمة للعلماء والصلحاء. ثم يستعرض بإيجاز الولاة والأمراء الذين حكموا هذه المنطقة من المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي. ويلي ذلك تاريخ الدولة الزيانية قبل عهد أبي حمُّو الثاني، بعد عرض موجز حول أصل قبيلة بني عبد الواد، والظروف التي أدَّت إلى تأسيس إمارتهم.

ويُسْتنتج ممَّا سبق ذكره أنَّ يحيى بن خلدون يجمع موادَّ مختلفة، ويجعل منها دراسة وافية عن تلمسان. ولكنه، في نفس الوقت، يعالج مختلف النقاط المطروقة بصفة مقتضبة، مكتفيًا بانتقاء بعض المعلومات، ومن دون أن يفكر في تقديم دراسة مستوعِبَة للموضوع[47]. وعلى كل، فإن الجزء الأول من "بغية الرواد " يستوحي طريقة تأليفه من منهج بعض المؤرخين المغاربة، أمثال عبد الواحد المراكشي ولسان الدين ابن الخطيب، الذين يستهلون مؤلفاتهم بمقدمة متنوِّعة المحتوى، تتضمَّن خاصَّة وصف البلاد المعنيَّة، من حيث دراسة أوضاعها الجغرافية والاجتماعية والفكرية، وكذلك من ناحية تطوُّرها السياسي قبل الفترة المعنيَّة[48].

وهكذا، يتضح أن هؤلاء المرخين انتهجوا اتجاهًا جديدًا في معالجة التاريخ، يمتثل في ربط التواريخ السلطانية بالتاريخ الإقليمي السابق، وبالإطار الجغرافي والبيئة الاجتماعية والثقافية، وإن كانوا لم يُصَرِّحوا بهذا المنهج، ولم يُعْربوا عنه في غضون مؤلفاتهم. ويبدو أن يحيى ابن خلدون كان له شعور واضح بهذا الاتجاه الذي كانت تتبعه المدرسة التاريخية المغربية آنذاك. فهو يذكر، في بداية القسم الأول من كتابه، أنه سيحاول دراسة "ما لا غنى بنا عنه من التعريف بكنه قبيل بني عبد الواد وأوَّلِيَّته". ثم يتابع حديثه قائلاً: "ولما كان كل حادث مفتقرًا بذاته إلى

مكان سابق، وزمان لاحق، وجب أن نفرد لذكره[49]، وذكر كل منهما[50]، بابًا نفي فيه بغرضنا من خبره"[51].

وقد يكون مفيدًا أن نقارن بين هذه الفكرة، والفكرة التي أبداها عبد الرحمن ابن خلدون في هذا الموضوع. فهو يقول في بداية المقدمة : "إن كل حادث من الحوادث، ذاتًا كان أو فعلاً، لا بد له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله"، الأمر الذي يتطلب معرفة "طبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها"[52].

لا شك أن هناك تقاربًا صريحًا بين هاتين الفكرتين المنبعثتيْن عن اهتمام واحد، وهو أن التاريخ الوقائعي لا يمكن له وحده، أن يفسِّرَ أسباب الحوادث التاريخية ونتائجها، وأن معرفة التاريخ الدقيقة والصحيحة تتطلب، بالإضافة إلى عرض الحوادث، دراسة الإطار الذي وقعت فيه، والأوضاع التاريخية التي تتصل بها.

فهذا المبدأ قد ذهب إليه كل من الأخوَيْن يحيى وعبد الرحمن، وعبَّر عنه كل واحد منهما بما يناسب مجالات البحث التي عُنِيَ بها. فأورده عبد الرحمن ليطبقه على التاريخ العامّ، وجعل منه حقيقة صالحة لكل زمان وكل مكان، بينما وضعه يحيى لتاريخ دولةٍ، مؤكدًا أهمِّيَّة اعتبار سائر العناصر المحلية المتصِلة به. ويتطلب هذا الاتجاه، الذي ينبني على فكرة البحث عن الأسباب والعِلل، دراسة سائر العوامل التي تخضع الأحداث التاريخية لتأثيرها، وكل العناصر التي ترتبط بها أو تنبعث عنها، كما يرتبط ذلك بنقد المعلومات، شفاهية كانت أو كتابية. وفي هذا الصدد يبدو أن يحيى ابن خلدون يجري عملية النقد في مستوى انتقاء المعلومات فقط. أما الأخبار التي يوردها، فهو لا يتعرَّض لنقدها إلاَّ نادرًا[53]. وكثيرًا ما يشير يحيى ابن خلدون، في الجزء الأول من كتابه، إلى المصادر التي يستقي منها الأخبار. إلاَّ أنه يكتفي غالبًا بذكر اسم المؤلف، دون الإشارة إلى عنوان الكتاب الذي يعتمد عليه. ثم إنه لا يرى ضرورة ذكر إسناد رواة الأخبار، شأنه في ذلك شأن معظم كتّاب عصره[54].

ويلاحظ أن لهذا التطوُّر في منهجية التاريخ صِلة وثيقة بتطوّر نظرية العلماء للتاريخ. فاعتبار التاريخ علمًا من العلوم المساعدة لمعرفة الشريعة، وتفهّم الإشارات التاريخية الواردة في القرآن، طيلة القرون الأولى للهجرة، كان يُحَتم اتباع منهج المحدِّثين في تدوينه. ولكن، عندما بدأ العلماء يكتبون التاريخ لتمجيد حكم السلاطين والخلفاء، لم يرَوْا أيّة ضرورة لنقد الإسناد

في رواية الأخبار. وأصبح المقياس الوحيد لقيمة الخبر، اتفاقه والهدف الذي يرمي إليه المؤلف.

ويستنتج من كل هذه الاعتبارات أن يحيى ابن خلدون ينتمي إلى المدرسة التاريخية المغربية التي ازدهرت في القرنين السابع والثامن للهجرة، بما امتازت به نظريته للتاريخ ومنهجيته. وذلك خلافًا لأخيه عبد الرحمن، الذي لم يأخذ كثيرًا عن سابقيه، ولم تعْنَ الأجيال التالية بدراسة إنتاجه ومواصلة جهوده.

ثم إننا نلاحظ عند يحيى ابن خلدون وعبد الواحد المراكشي ولسان الدين ابن الخطيب وأبي عبد الله بن مرزوق وغيرهم، أن كلاً من الباحث وعالِم البلاط يتجاوران في نفسيَّة المؤلف المؤرخ، ويعيشان في جوٍّ وئام واتفاق. وفي هذا الجوار، يضطرُّ كل واحد منهما أن يتنازل عن بعض المبادئ، ويتحالف مع الآخر. وعندئذٍ، ينقص الإنتاجَ شيء من الدِّقة والصدق، إلاَّ أنه يزداد سعة ووضوحًا[55].

غير أن هذا الاتجاه الذي سلكته التواريخ السلطانية، يجعلنا نشعر بشيء من الأسف، إذ أنه أدَّى إلى جعل قسم هامّ من نتاج المؤرخين في خدمة الحكام، على حساب الموضوعية والنزاهة.

6-أسلوب يحيى بن خلدون: لقد امتاز القرن الثامن الهجري، من ناحية تطوّر الأسلوب الأدبي، بتمادي التيارات التعبيرية التي ظهرت، منذ القرن الرابع الهجري، في الأدب العربي بالمشرق. ولم تفتأ تزداد انتشارًا ورسوخًا، لِما وجدت من إقبال لدى جمهور الأدباء، الذين بالغوا في تطبيق اتجاهاتها القائمة على الإسراف في اللجوء إلى التشبيه والاستعارة وغير ذلك من صور البلاغة، الأمر الذي أثقل الإنتاج الأدبي نثرًا وشعرًا، وطبعه بطابع التكلف والتصنع. وقد عرفت هذه الاتجاهات انتشارًا كبيرًا في الأندلس وأقطار المغرب، ولاسيَّما بين كتَاب مختلف البلاطات السلطانية. وعمَّ استعمال السجع في المراسلات الرسمية والخاصَّة، التي "امتازت بوفرة التعابير المسجَّعة القليلة المعنى"[56].

أما يحيى بن خلدون فإنه سلك الطريق التي عبَّدها سابقوه، في هذا الميدان[57]. ولا شك أنه تأثر بالكتَّاب والأدباء المشهورين في عصره، أمثال ابن عبد المهيمن الحضرمي وابن رضوان، وبصفة خاصة، لسان الدين ابن الخطيب، الذين قاموا بدَوْر رئيسي في تكوينه، وحصوله على مَلكة هذه الأساليب التعبيرية المثقلة بالمُحَسِّنات البديعِيَّة[58].

هذا، و يمتاز أسلوب يحيى بن خلدون بدِقة الوصف، وبراعة التصوير، وسعة الخيال، والتوفيق في اختيار المفرَدات. فنثره يتألق تألقَ الأحجار الكريمة، فَيَفتن القارئ بما يحمِل في طيّاته من تأنق وجزالةٍ وتراكم الصور البلاغية، ممَّا كان ينال رضى الأدباء والمثقفين وإعجابهم.

وعلاوة على ذلك، فإن يحيى بن خلدون كان يكثر من استعمال الاستعارة إلى حد يقرب من الإسراف، ويُرْسِل الكلام متناسِق الأطراف، منسَجم العبارات، مزدانًا بنغمات السجع، ممَّا كان يكسب أسلوبه رَوْنقًا وجمالاً، ويجعله في مستوى إنتاج كبار الأدباء، ويحقق لصاحبه النجاح عند الأمراء والسلاطين[59].

والجدير بالملاحظة أن يحيى بن خلدون لا يبالغ في استعمال السجع. فهو يلجأ إليه ليبرهن على صدق قريحته ونبوغه في فنون الأدب، ولإجادة وصف الأمير وعاصمته، والتعبير عن عواطف الإخلاص والوفاء. ولكنه، إذا ما انصرف إلى ذكر الأخبار، أو عالج مسائل تاريخية، فإنه يفضل النثر المُرْسَل، ويتوخى في أسلوبه البساطة والدقة[60]. ويبدو أن هذا التكوين الأدبي المعتمِد على وفرة الرصيد اللغوي، للتغلب على الصعاب الناجمة عن مقتضيات السجع، كان يهَيِّئ صاحبه لنظم الشعر، إذ أن السجع يحتلُّ منزلة بين النثر المرسل والشعر.

فلا غرابة إذا كان يحيى بن خلدون شاعرًا أيضًا، شأنه في ذلك شأن معظم كتَاب البلاط في عصره. وشعره يخضع لذوق معاصريه، ويَنِمُّ عن سعة الاطلاع على الأدب العربي، وممارسةٍ جدِّيَّةٍ لهذا الفن المزدهر آنذاك في بلاطات الأمراء. وتشهد قصائده، التي نظمت بمناسبة الأعياد الدينية والأحداث الهامَّة، على مواهب أدبية حقيقية، وعلى سهولة في نظم المقطوعات الشعرية الطويلة. وعلى كل، فينبغي نقد هذا الإنتاج الشعري بوضعه في إطار عصره، وإجراء مقارنة بينه وبين نماذج من الإنتاج المعاصر له، ومراعاة التقاليد المتبعة آنذاك.

ورغم أن يحيى بن خلدون لم يَصِلْ إلى درجة فحول الشعراء، فإن شعره قد نال إعجاب المعاصرين، وحَظِيَ بإقبالهم عليه. وإذا كان أغلب القرَّاء، في زماننا هذا، لا يعجبون به ولا يميلون إليه، فذلك لا يمنع أن هذا الشعر له قيمة في حدِّ ذاته، وأنه يحمِل طابعَ عصر من العصور[61].

7- خطة تحقيق كتاب "بغية الرواد ":

أ-اختيار النسخة الأساسية: يظهر ممَّا ذكِر سابقًا في وصف مخطوطات كتاب "بغية الروَّاد"، التي أمكن الاطلاع عليها[62]، أن نسخة الأسكريال هي الوحيدة التي ليست مصابة بنقص ملحوظ ، ما عدا البتر القليل في أولها وآخرها، وأنها أكمل النسخ، وأقربها إلى نسخة المؤلف المفقودة. أمَّا المخطوطات الأخرى، فيبدو أنها تشكل مجموعتيْن متميِّزتيْن:

1-فالمجموعة الأولى تضمُّ النسخ المُشار إليها برموز: ق، ب، ح، ر، ل. وهي قريبة من نسخة الأسكريال، إلاَّ أنَّ فيها بعض الثغرات. وتتضمَّن هذه المجموعة سائر القصائد الشعرية، إلاَّ مقطوعة واحدة[63]. ثم إن بعض الفقرات والجمل ناقصة في هذه النسَخ، الأمر الذي يرجِّح الاعتقاد بأنها تنتمي إلى أصل واحد، غير النسخة الأم.

2-أمَّا المجموعة الثانية فهي تضمُّ المخطوطات المشار إليها برموز: ج، ط، ز، ش، وكلها تنقصها قصائد شعرية عديدة. غير أنها تتضمَّن بعض الفقرات الساقطة في المجموعة الأولى. فهذه النسَخ تنتمي أيضًا إلى أصل واحد، وتمتاز بزيادة مفردات أو عبارات، أضِيفت إلى النص الأصلي؛ وقد يكون ذلك لقصْد المزيد من الوضوح. ويُسْتبْعَدُ نِسْبَة هذه الزيادات، التي لا توجد في المجموعة الأولى ولا في مخطوط الأسكريال، إلى المؤلف، لضعْفِها اللغوي، ولثقلها من ناحية الأسلوب[64].

وعليه، فيُسْتنتج ممَّا سبق أنَّ كلاًّ من المجموعة الأولى والثانية ونسخة الأسكريال تنتمي إلى ثلاث أمَّهات أصليَّة متغايرة، وأنَّ أصحَّ هذه الأمَّهات وأوثقها هو الأصل الذي تنتمي إليه نسخة الأسكريال. ولذا اعتبرناها النسخة الأصلية لتحقيقنا هذا. أما بالنسبة للورقات المبتورة منها، في أول الكتاب وآخره، وبعض الفقرات من المقدمة التي لا توجد إلاَّ في المخطوطيْن ر، ل، فإننا اتخذنا مخطوط ر نسخة أساسية (الورقات 1 أ، 83 أ-ب، 84 أ-ب)، وقد فضلناها على نسخة ل، رغم أن هذه الأخيرة أقدم بحوالي ثمانين سنة، لأنها أضبط منها وأقل أخطاء.

ب) تحقيق النص: وفيما يخص تحقيق النص، فلم نرَ ضرورة إضافة الزيادات التي وردت في النسَخ الأخرى، ولاسيما زيادات المجموعة الثانية (ج، ط، ز، ش) إلى نص نسخة الأسكريال (النسخة الأساسية)، كلما كانت هذه الزيادات لا تأتي بأية فائدة لتفهّم النص وإيضاح المعنى. غير أننا التزمنا إضافة الزيادات، التي يتطلبها السِّياق، إلى النسخة الأساسية، وجعلناها بين مَعْقوفتيْن.

أما الهوامش، فإنها تتضمَّن ذكر الاختلافات بين النسخ، وما طرأ عليها من نقص أو زيادة؛ ونظرًا إلى تراكم الأغلاط في معظم النسَخ، فقد اضطررنا إلى الاقتصار على ذكر الاختلافات التي ليست من باب الأغلاط الكتابية أو النحوية أو اللغوية، كما أننا توخينا تخفيف هذه الهوامش باتخاذ الرموز الاصطلاحية التالية:

1-رمز+ للدلالة على زيادة في النسَخ غير النسخة الأساسية؛

2-رمز- للدلالة على نقص في النسخ المذكورة؛

3-المعقوفتان [...] للدلالة على النقص الواقع في النسخة الأساسية، والذي لا يستقيم المعنى في النص إلاَّ بإثباته؛

4-النجمتان * ... * للدلالة على الجمل والفقرات الناقصة في نشرة ألفرد بل، والتي لم ترد إلا في النسَخ س، ر، ل؛

5-القوسان (...) للدلالة على زيادة كلمة أو عبارة لم ترد في جميع النسَخ، واقتضى إدراجَها في النص ضرورة السِّياق أو تيسيرُ تفهّم النص.

هذا، وقد اعتمدنا على هوامش نشرة ألفرد بل لإثبات اختلافات النسَخ التي استعملها ولم نتمكن من الحصول عليها (ج، ط، ق، ح)، إلاَّ أن نشرته هذه، في كثير من الأحيان، تتضمَّن اختلافات عن نسختنا الأساسية، من دون أن ترد إشارة إلى أي اختلاف بين تلك النسَخ.

وقد أضفنا إلى هوامش تحقيق النص هوامشَ أخرى تتضمَّن معلومات حول أعلام الأشخاص والأمكنة والكتب الواردة في الكتاب، وكل ما يتطلب مزيدًا من الإيضاح والتدقيق. واقتصرنا غالبًا على ما لم يَرِد في نشرة ألفرد بل من المعلومات الإضافية، التي تمَكنَ التِقاطها من المطبوعات العديدة التي صدرت منذ ذلك العهد.

وفيما يخصّ تصحيح الأغلاط التي تتضمَّنها النسخة الأساسية، فإننا لجأنا إلى كل الوسائل المتوفرة لدينا، وذلك بالرجوع إلى النسَخ الأخرى، مع إثبات ما ورد في النسخة الأساسية في الهوامش. كما رجعنا أيضًا إلى المصادر التي اعتمد عليها يحيى ابن خلدون في تأليفه لتصحيح الأغلاط الواردة في جميع النسَخ[65]. وكذلك استعملنا مصادر أخرى أحدث من "بغية الرواد"، مثل "نظم الدر والعقيان" للتنسي، و"نفح الطيب" للمقري، و"تعريف الخلف" للحفناوي، التي نقلت فقرات وقصائد عن "بغية الرواد"، فوجدنا فيها بعض الاختلافات المفيدة.

وأخيرًا، وبصفةٍ استثنائية، اخترنا أنسب العبارات أو المفردات، من ناحيتي الأسلوب والمعنى، كلما اقتضى الأمر ذلك، إذ أنَّ هدفنا من تحقيقنا هذا هو أن نقدم للقارئ كتابًا منقحًا، مستقيم التعبير، كامل النص. وأملنا أننا، بعملنا هذا، نكون قد ساهمنا في خدمة تاريخ المغرب، بصفة عامة، والجزائر، بصفة خاصة، وفي إزاحة الستار عن بعض جوانب شخصية يحيى ابن خلدون.

الهوامش:

1- عن يحيى بن خلدون الشاعر، راجع : بغية الرواد، ج2، ص 88، 149-153، 258-261، 199-200، 214-217؛ زهر البستان، ورقة 86 ب-87 أ؛ المقري، نفح الطيب، ج9، ص 212-215، 218-219، 340-341؛ نفس المؤلف، أزهار الرياض، ج1، ص 239-242، 246-247. Bargès, Complément..., pp. 150-152 et 207.

2- عن مهام الكاتب في البلاط، راجع : أبو حمو العبد الوادي، واسطة السلوك، ص 81-82.

3- عن الفنون الأدبية التي كان يمارسها الكتّاب في ذلك العصر، بالإضافة إلى التاريخ، راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص 110-365.

4- ينتهي الجزء الثاني من "بغية الرواد" إلى آخر سنة 776 هـ غير أن بعض المخطوطات تشتمل على ملحق يتضمن ذكر حوادث أوائل سنة 777 هـ، في بعض الصفحات. وقد يكون هذا الملحق من وضع كاتب غير يحيى بن خلدون. راجع : بغية الرواد، ج2، ص 220-222.

5- انظر : مقدمة كتاب "بغية الرواد"، فيما يلي، ص 85-86.

6- من البديهي أن القسم الأخير من الكتاب، الذي يتناول عهد السلطان أبي حمو الثاني، وبالأخص حوادث سنة 776 هـ، قد ألف، بدون شك، أثناء الإقامة الثانية والأخيرة في بلاط أبي حمو الثاني، أي بعد فاتح ربيع الأول سنة 776 هـ

7- من هذه القرائن أن يحيى بن خلدون يذكر تاريخ وفاة أبي عبد الله الشريف(4 ذي الحجة 771 هـ) ، كما أنه يشير إلى أن أبا عبد الله بن مرزوق الخطيب، المتوفى سنة 781 هـ، كان يوجد= =بمصر في عهد تأليفه للكتاب، ومن المعلوم أن ابن مرزوق الخطيب رحل إلى مصر في ربيع الأول 773 هـ راجع : بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص 126-131؛ المقري، نفح الطيب، ج7، ص 309-338؛ التعريف بابن خلدون، ص50-56؛ ابن مريم، م. س.، ص 184-190.

8- راجع نص الرسالة التي بعثها ابن الخطيب إلى يحيى بن خلدون بمناسبة تعيينه في منصب كاتب لأبي حمو الثاني، في كتاب " نفح الطيب " للمقري، ج9، ص 99-103. عن الرسائل التي بعثها ابن الخطيب لعبد الرحمن بن خلدون، راجع : التعريف بابن خلدون، ص 112-130، 137-139، 224-231؛ المقري، نفح الطيب، ج9، ص 93-99.

9- انظر، فيما قبل، ص 37، 38 وهامش 1.

10- عن تأثير لسان الدين ابن الخطيب في تكوين يحيى بن خلدون الأدبي والتاريخي، انظر، فيما قبل، ص 37-39.

11- راجع، فيما قبل، ص 37-38.

12- راجع، فيما قبل، ص 38-39.

13- راجع، فيما قبل، ص 40-42.

14- ورد في وسط الجزء الثاني من " بغية الرواد " ذكر رسالة لابن الخطيب، مما يرجح جعل تاريخ كتابة ذلك القسم من الكتاب بعد وفاة ابن الخطيب، حيث وردت عبارة "رحمه الله" بعد ذكر اسمه (بغيةالرواد، ج2، ص 120).

15- ورد ذكر العنوان ثلاث مرات في كتاب " بغية الرواد "، الأولى في المقدمة، والثانية في آخر الجزء الأول، والثالثة في آخر الجزء الثاني. عن الرموز التي استعملناها للدلالة على النسخ المخطوطة التي رجعنا إليها، انظر، فيما يلي، ص 71-72.

16- من المحتمل جدا أن يكون يحيى ابن خلدون قد تأثر، في وضع هذا العنوان الأول، بعنوان أحد تآليف لسان الدين، وهو "ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب ".

17- يوجد تكرار في المعنى في كلمتي " النجعة " و" الرواد ". فكلاهما يدلان على البحث عن المرعى، بينما لا يوجد هذا التكرار في عنوان : بغية الرواد ". ومن بين مشاهير المؤلفين المغاربة، الذين غيروا عناوين كتبهم، يمكن ذكر أبي العباس المقري، الذي عوّض عنوان " عرف الطيب "، الذي اختاره أولا لكتابه، بعنوان " نفح الطيب ". راجع : المقري، نفح الطيب، ج1، ص 117.

18- حول نظرية يحيى بن خلدون في التاريخ، انظر، فيما يلي، ص 56-57.

19- حول هذه الأحاديث، واختلاف لمحدثين في نصّها، انظر : فيما يلي، ص 53-54.

20- هؤلاء الشعراء هم : أبو عبد الله ابن خميس، المتوفى سنة 708هـ، وأبو عبد الله الثغري، وأبو عبد الله التلالسي وهاذان الأخيران كانا معاصرين للمؤلف، وكانا من مشاهير شعراء بلاط السلطان أبي حمو الثاني. انظر : بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص116-121؛ المقري، نفح الطيب، ج 9، ص327-335، 336-340؛ نفس المؤلف، أزهار الرياض، ج2، ص322-340؛ ابن مريم، م. س.، ص 222-223؛ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص124-142، 177-191؛ Abbé Bargès, Complément..., pp. 22, 24, 218-20

21- ويخص المؤلف من بين بني عبد الواد فصيلة بني القاسم، التي ينتمي إليها أمراء بني عبد الواد. أما باقي القبيلة، فقد اجتمع رأي النسابة على أنهم من زناتة. ويرى يحيى ابن خلدون أن زناتة من أصل عربي نزاري. وقد أخذ التنسي بالآراء التي ذهب إليها يحيى بن خلدون، وخصّصَ فصولا عديدة للحديث عن إدريس الأكبر وأجداده. انظر : بغية الرواد، ج1، فيما يلي ص 170-172؛ التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص 109-110.

22- لم يختص بنو عبد الواد وعلماء بلاطهم بهذه الرغبة في إلحاق نسب قبيلة بربرية ، أو فصيلة منها، بالنسب العلوي الشريف، أو العربي. فقد سبقهم في ذلك، مثلا، الموحدون، حيث إن المهدي ابن تومرت ادّعى أنه من نسل علي بن أبي طالب. وكذلك الأسرة المومنية، التي زعم بعض النسابين أنها تنتمي إلى قيس عيلان. ولآ شك أن هذه المزاعم تمتّ أساسا إلى اعتبارات سياسية. فالانتماء إلى الأسرة الشريفة يضفي على الشخص أو الأسرة أو القبيلة مسحة من النبل والحرمة، تؤهلها للسموّ إلى الإمارة أو السلطنة، وحتى إلى الخلافة، كما كان الأمر بالنسبة إلى الخلفاء الموحدين. عن الأدلة التي أوردها يحيى بن خلدون لتأييد صحة انتماء الزيانيين إلى النسب العلوي الشريف، راجع : بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص170-172.

23- وهم أبو زيان وأبو حمو الأول وأبو تاشفين الأول.

24- ويختتم هذا الباب بقصيدة أبي حمو الشهيرة في وصف حركته إلى تلمسان. ويلاحظ أن يحيى بن خلدون لا يورد في هذا الباب أخبارًا كثيرة عن حياة أبي حمو الثاني وأبيه، قبل سنة 760 هـ بل يكتفي بذكر الأخبار التي وردت في كتاب أبي حمو : واسطة السلوك في سياسة الملوك "، ص 12-19.

25- عن ابن ظفر الصقلي، انظر، مثلا، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، رقم 48، ص 141-142.

26- وكذلك الأمر بالنسبة لعدد كبير من تراجم العلماء والأولياء المعاصرين للمؤلف، في الفصل الثاني من الباب الأول من القسم الأول. راجع : بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص 103-149.

27- راجع : ابن الزيات، ا لتشوف إلى معرفة رجال التصوف، ص1-2. عن هذا الحديث وما وقع من اختلاف في روايته وأهم المصادر التي روته، انظر، فيما يلي، ص 89، 90 وهامش 1.

28- يلاحظ، في هذا الصدد، أن يحيى بن خلدون لم يعتمد على " نزهة المشتاق " للإدريسي، وربما لم يتصل بهذا الكتاب. وعلى كل، فإن وصف تلمسان، عند الإدريسي، لا يفيد كثيرًا فيما يخص موقع المدينة وحياتها الاقتصادية، وهو لا يقول شيئا عن مساجدها وآثارها. راجع : الإدريسي، وصف إفريقية والصحراء الشمالية، ص 54-55.

29- نذكر، مثلاً، التراجم رقم 29، 95 (عن التكملة)، 8، 28 (عن الذيل والتكملة) ، 1، 22، 24، 99 (عن التشوف).

30- يلاحظ أن المؤلف لا يشير إلى رأي ابن حزم في الموضوع، بينما يعتمد عليه أخوه عبد الرحمن، كما أنه لا يولي أي اهتمام لإقوال النسابة البربر، مثل ابن حمادو البرنسي، وصاحب كتاب " مفاخر البربر" .

31- ويبدو أن صاحب كتاب " مفاخر البربر " قد مال إلى هذا الرأي الأخير. انظر : مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص 1، 49، 65. راجع أيضًا : الإدريسي، م. س.، ص 35؛ ابن الفقيه، كتاب البلدان، تحقيق الحاج صادق، ص 39 والهامشين 64-65.

32- ينفي ابن حزم النسب العربي للبربر، ويعتقد أن ما قيل حول بر بن قيس عيلان ليس إلا أسطورة. ولعل هذا الموقف ذاته يفسر إهمال يحيى بن خلدون لذكر ابن حزم، والتعرض لرأيه، وذلك أن غرضه هو إثبات النسب العربي للأمراء العبد الواديين. راجع أيضا : مفاخر البربر، ص 76.

33- حول تراجم العلماء المذكورين في موضوع أصل البربر، انظر، فيما بعد، ص أما مالك بن المرحل، فهو مشهور كشاعر. راجع : بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص 161-162.

34- ومن المؤسف أن هاذين الكتابين مفقودان. وهما، من دون شك، أقدم من " بغية الرواد "، إذ أن ابن الأصفر أبا عثمان سعيد بن عيسى توفي سنة 460 هـ بينما كانت وفاة ابن هدية أيام السلطان أبي تاشفين الأول. وقد ورد ذكر الكتابين في الإحاطة لابن الخطيب، ج1، ص 64. انظر أيضا : حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص289.

35- ولم يصلنا، من هذا الكتاب إلا الجزء الثاني منه، حول تاريخ الدولة الزيانية خلال السنوات الخمس الأولى من عهد أبي حمو الثاني، وهو من تأليف كاتب مجهول، يبدو أنه كان معاصرًا لهذه الفترة. وقد ورد ذكره في كتاب " نظم الدر والعقيان " لأبي عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 47-48.

36- لم يرد، مثلاً، في بغية الرواد، ذكر بعض آثار تلمسان المشهورة، الراجعة إلى عهد أبي تاشفين الأول، كالمدرسة التاشفينية، والصهريج الكبير الواقع إزاء باب كشوطة، وشجرة الفضة، وقد ذكرها أبو عبد الله التنسي في " نظم الدر والعقيان ". راجع : التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص 140-141.

37- عن نظرية العلماء المسلمين في التاريخ، راجع : **H. A. R. Gibb, art. Tarikh, dans E. I. Suppl., p. 250.**

38- بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص 88.

39- بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص 89.

40- لقد انتشر تأليف التواريخ المحلية والسلطانية في الإسلام انتشارًا كبيرًا، وخصوصًا في القرنين السابع والثامن للهجرة. ويفسر المستشرق جيب هذه الظاهرة بانقسام العالم الإسلامي، في المشرق والمغرب، وقيام كثير من الدول التي تسعى، قبل كل شيء، إلى الحفاظ عن كيانها، وتحذر من محاولات التوسع التي تأتي من الدول المجاورة لها. عن التواريخ السلطانية المحلية عند العرب، انظر: **H. A. R. Gibb, op. Cit., p. 256.**

41- يرى عبد الرحمن بن خلدون، فيما يتعلق بالغرض من التاريخ، أنه " خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلب للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعة من الأحوال " (المقدمة، ج1، ص 409). راجع في هذا الموضوع: **M. Talbi, Ibn Haldun et le sens de l'histoire, dans Studia Islamica, XXVI, 1967, pp. 74-75 ; B. Tlili, La**

notion de Umran dans la pensée coloniale précoloniale, dans Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n° 12, 2° sem. 1972, pp. 134-41.

42- انظر: بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص 89-90.

43- ذكر عبد الواحد المراكشي أن سبب نكبة ابن رشد هو عدم امتثاله لهذه التقاليد، وتقصيره في مدح يعقوب المنصور الموحدي حيث إنه عندما ذكر الزرافة في شرحه لكتاب الحيوان لأرسطاليس، قال : " وقد رأيتها عند ملك البربر، يريد الخليفة الموحدي " (المعجب، ص305-307).

44- انظر: بغية الرواد، ج2، ص 103-104، 127-128، 164-165، 173-174.

45- من بين هذه الهزائم، التي مني بها يغمراسن في حربه ضد بني مرين، معركة إيسلي (سنة 647 هـ)، وأبي سليط (سنة 655 هـ)، وكلدامان (سنة 657 هـ)، وتلاغ (سنة 666 هـ)، ووادي إيسلي(سنة 670 هـ). انظر: بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص182-183؛ العبر، ج7، ص171، 174، 176-178، 365-381.

46-. ينطبق هذا النقد على سائر التواريخ السلطانية. راجع: H. A. R. Gibb, op. cit., p. 256.

47-. وفي هذا المجال، يبدو أن كتاب " بغية الرواد " يختلف شيئًا ما عن " المغرب في حلى المغرب " لابن سعيد، و " الإحاطة " لابن الخطيب، لما فيهما من مزيد من التعمق في معالجة الموضوع المطروق، ومن استطرادات متنوعة، ويقترب كثيرًا من كتاب " اللمحة البدرية " لابن الخطيب، في تاريخ دولة بني الأحمر.

48-. انظر، مثلاً : عبد الواحد المراكشي، م. س.، ص 5-16، 346-376؛ لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 12-30.

49- يعني قبيلة بني عبد الواد.

50- يعني المكان (تلمسان) والزمان (أي الظروف التاريخية التي أدت إلى تأسيس دولة بني عبد الواد).

51- بغية الرواد، ج1، فيما يلي، ص88.

52- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج1، ص410.

53- وقد يكون هذا راجعًا إلى تأثير تكوين يحيى ابن خلدون الفقهي، الذي لا يقبل الحكم الفردي ونقد النصوص الداخلي، ولا يرتضي إلاّ النقد الخارجي، أي النظر في صحة الإسناد.

54- انظر: H. A. R. Gibb, op. cit., p. 258

55- انظر: H. A. R. Gibb, op. cit., p. 258.

56- انظر: F. Krenkow, art. Sadj', dans E. I., IV, p. 45 b

57- لا شك أن يحيى بن خلدون تأثر بمعظم إنتاج الأدباء السابقين والمعاصرين له، مثل أدب المقامات، وأدب سياسة الملوك، وخصوصًا كتاب " سلوان المطاع " لابن ظفر الصقلي، وكتب التراجم، والمراسلات الدبلوماسية والخاصة. راجع نماذج من المراسلات الرسمية المغربية في: القلقشندي، صبح الأعشى، ج 8، ص 79-115.

58- يمكن اعتبار أن كتاب " ريحانة الكتّاب " لابن الخطيب، قد أفاد كثيرًا يحيى بن خلدون في انتهاج طريق الكتّاب المعاصرين له، وكذلك كتاب " الإحاطة " لابن الخطيب أيضًا. وقد أشاد هذا الأخير بمواهب يحيى بن خلدون الأدبية في الرسالة التي بعثها إليه بمناسبة تعيينه كاتبًا لأبي حمو الثاني. راجع: المقري، نفح الطيب، ج 9، ص 99-103.

59- عن أسلوب يحيى بن خلدون، انظر: Bargès, Complément..., pp. 150-52 ; A. Bel, art. Ibn Khaldoun (Yahya), dans E. I. 2, III, p. 856.

60- يمكن المقارنة بين كتاب " بغية الرواد " والإنتاج المعاصر له، مثل " واسطة السلوك في سياسة الملوك " للسلطان أبي حمو موسى الثاني، وكتاب " زهر البستان " لمؤلف مجهول. وفي هاذين الكتابين، يعمّ السجع الكتاب من أوله إلى آخره.

61- عن شعر يحيى بن خلدون، انظر، فيما قبل، ص 46 وهامش 1.

62- انظر، فيما قبل، ص 64-68.

63- وهي مقطوعة صغيرة، تشتمل على ثمانية أبيات، لمهيار الديلمي، لم ترد إلا في نسخة الأسكريال، ولم تثبتها نشرة ألفرد بل، في ج 1، ص 103.

64- ومما يؤيد هذا الرأي أن هذه النسخ هي أكثر النسخ أخطاء و نقصًا.

65- من بين تلك المصادر نخص بالذكر كتاب " التشوف " لابن الزيات التادلي، و" التكملة " لابن الأبار، و" الذيل والتكملة " لابن عبد الملك المراكشي، التي مكنتنا من تصحيح أخطاء عديدة في بعض تراجم العلماء والصلحاء.

محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م) الفقيه التاريخي.

أ. محمد بوشقيف*

مقدمة: يُعد القرن التاسع الهجري (15م) ببلاد المغرب الأوسط أوفر انتاج الجزائر في المجال الفكري والعلمي، وأزهى عصورها، ومَرَدُ ذلك يعود إلى كثرة العلماء الذين نبغوا فيه، وكذا المؤلفات التي أثروا بها سوق العلم، حيث أن عدد هؤلاء العلماء المنتجين خلال هذا القرن يفوق عدد الذين سوف يظهرون في القرون اللاحقة[1]. هذا على الرغم بما امتاز به هذا القرن من انحطاط سياسي ميز دولة بني زيان من تفكك وصراع على السلطة، وكذا استمرار الهجومات الحفصية عليها، أما عن الحياة العلمية فكانت مزدهرة ويظهر ذلك كما أشرنا سالفا إلى ظهور هؤلاء العلماء دفعوا بها إلى الأمام الذين ذاع صيتهم في مختلف أمصار العالم الاسلامي آنذاك كسعيد العقباني (ت811هـ/1408م)، وابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1439م)، وأبي عبد الله الحباك (ت867هـ)، وعبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1470م)، وأبي زكريا المازوني (ت883هـ/1478م)، أحمد بن زاغو (ت845هـ/1441م)، ومحمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م) وعبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م)، وأحمد بن يحي الونشرسي (ت914هـ/1508م)، ومحمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م) بفضل ما ألفه في علم التاريخ هذا العلم الذي حظي باهتمام علماء الإسلام الأوائل اهتماما كبيرًا، ويعود سبب ذلك إلى اعتباره من العلوم النقلية الشرعية نظرا لارتباطه الوثيق بعلم الحديث من جهة، وميلهم للاطلاع على ماضي الأمم وحوادث الزمان من جهة ثانية، إضافة إلى عنايتهم بعلم الأنساب.[2] وبعد هذا بدأ علم التاريخ يستقل بأسلوبه ومنهجه الخاص عن علم الحديث حتى أصبح علما قائما بذاته، فألف علماؤه في الأخبار وأكثروا في جمع تواريخ الأمم والدول فبرز فيه مؤرخون أجلاء كابن جرير الطبري (ت310هـ/923م)، وابن الأثير (ت620هـ/1233م).[3]

*- أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم التاريخ - جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان.

وبعد هذا ظهرت مؤلفات لها صلة وثيقة بعلم التاريخ ككتب السير، والمغازي، وكتب الأنساب، والأمم، والملل والنحل، والتراجم، والطبقات، والحوليات والتواريخ المحلية والخطط والمناقب والفهارس والوفيات وغيرها من المؤلفات ذات الصلة بعلم التاريخ.[4]

وانطلاقا من هذا سار مؤرخوا المغرب الاسلامي في بداية الأمر على نفس نهج مؤرخوا المشرق في مجال تدوين التاريخ إلى أن ظهرت مدرستهم الخاصة بهم مع ابن عذاري المراكشي (عاش في القرن 7هـ/13م)، وعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م) الذي نقد المؤرخين السابقين له.[5] وكان بداية نشاط هذه المدرسة بشكل واضح مع مطلع القرن الثامن الهجري (14م). حيث برز فيها مؤرخون كبار في كل من الأندلس ولمغرب الأقصى والأدنى وفي خضم هذا أنجب المغرب الأوسط (الجزائر) هو الآخر مجموعة من المؤرخين الذين سجلوا تاريخ هذا العصر، والذين سنتطرق إلى واحد منهم عد من أساطين الكتابة التاريخية في الجزائر إلى جانب كل من عبد الرحمن بن خلدون وأخيه يحي وابن مرزوق الخطيب ألا وهو محمد بن عبد الله التنسي الذي سنسلط الضوء على حياته ومؤلفاته في هذه المداخلة باعتباره أحد أعمدة الكتابة التاريخية في الجزائر خلال العصر الوسيط (القرن 9هـ/15م). نظرا لمؤلفه الذي تركه في هذا العلم والذي غطى به أحداث هذه الفترة؛ فمن هو محمد بن عبد الله التنسي؟

هو محمد بن عبد الله بن عبد الجليل[6]، التنسي[7]، الأموي[8] المعروف بالحافظ والأديب والشاعر،[9] والفقيه التاريخي.[10]

أما تاريخ ولادته فإن كتب التراجم المتوفرة لدينا لا تذكره تماما، إلا أن الباحث المرحوم محمود بوعياد في تحقيقه لكتاب نظم الدر والعقيان لصاحب الترجمة، رجح تاريخ ولادته الى سنة (820هـ/1418م) [11]، معتمدا في ذلك على ما أورده السخاوي في ضوئه.

التكوين العلمي للتنسي:

لا تمدنا كتب التاريخ بمعلومات عن طفولة التنسي، إلا أنه ولد وعاش بتلمسان في ظل الدولة الزيانية التي كانت في قمة ازدهارها العلمي وبداية انحطاطها السياسي الذي ميزها بداية من العقد الثاني للقرن 9هـ/15م، كما أننا لا نعرف شيئا عن حالته العائلية وهذا يبين أن أباه كان من عامة الناس. إلا أن ابنه تمكن كغيره من أبناء عصره من الدخول والتدرج في نمط التعليم

السائد آنذاك، وأخذ العلوم والمواد التي كانت تدرس بالمراكز التعليمية كالكتاتيب والمساجد والمدارس التي انتقل إليها لاستكمال تكوينه العلمي.

هذا وقد تطرق أصحاب كتب التراجم خاصة ابن مريم في البستان إلى ذكر أهم العلماء الذين أخذ عنهم الحافظ التنسي وهم مجموعة من العلماء البارزين الذين قادوا الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرن التاسع عشر الهجري، الخامس عشر الميلادي، ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم نورد:

-محمد بن مرزوق الحفيد (842هـ/1498م)، أخذ عنه الحافظ التنسي علوما كثيرة خاصة الدينية كالتفسير والفقه، وأصول الفقه والحديث التي اشتهر بتدريسها في تلمسان.[12]

-أحمد بن زاغو التلمساني (ت845هـ/1441م)، أخذ عنه التنسي كغيره من علماء ذلك العصر العلوم الدينية من فقه، وتفسير وتصوف وحديث التي كان ابن زاغو بارعا في تدريسها آنذاك.[13]

-محمد بن إبراهيم بن الإمام(846هـ/1442م)[14]، هو الإمام محمد بن إبراهيم بن الإمام أبي الفضل، كانت له قدم راسخة في البيان والتصوف والأدبيات، والشعر، والطب.[15] ونقل عنه الونشريسي في معياره الكثير من وفتاويه [16].

-الحسن بن مخلوف أبركان: أخذ عنه التنسي خاصة تلك العلوم التي أتقنها، كالتصوف، والحديث والفقه [17].

تلامذة التنسي: لا يمكننا بالضبط تحديد متى انتقل التنسي من مرحلة التحصيل العلمي إلى مرحلة التصدر للإقراء والتأليف. حيث كان يدرس بالجامع الأعظم بتلمسان وكذا مدارسها المشهورة خاصة التاشفينية واليعقوبية. إضافة إلى حضوره مجالس السلاطين العلمية التي امتازت بمناظرات العلماء في قضايا ذلك العصر وكذا التباري بنظم الشعر والنثر في هذه المجالس.

-لهذا تتلمذ على يديه الكثير من طلبته المشهورين كما سنبين ومرد ذلك يعود أساسا إلى ما امتاز به التنسي من التضلع في العلوم والآداب خاصة علم الحديث والتاريخ. ولا يمكننا استقصاء جميع هؤلاء الطلبة لذا سوف نقتصر على أشهرهم الذين يمكن القول أنهم شكلوا أهم علماء المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن 9هـ/15م ومنهم:

-أحمد البرنسي الشهير برزوق (ت889هـ/1484م) أخذ عن الحافظ التنسي، خاصة في العلوم ذات الصلة بالتصوف والحديث. (18)

-أحمد بن داود الأندلسي (19)، فقيه وكاتب، إرتحل مع أبيه علي القلصادي صاحب الرحلة من غرناطة إلى تلمسان بعد سنة (890هـ/1485م)، فأخذ عن شيوخها منهم الحافظ التنسي، وبعد ذلك رحل إلى بلاد المشرق، ولم تذكر كتب التاريخ والتراجم تاريخ وفاته.

-محمد بن صعد (ت901هـ/1496م)، صاحب كتاب"النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب" "وروضة النسرين". (20)

-محمد بن العباس الصغير (21)الفقيه المتصوف الذي برع في العلوم معقولها ومنقولها، الذي قال "لازمت مجلس الفقيه العالم، الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام وحضرت إقراءه تفسيرا، وحديثا، وفقها وعربية وغيرها"(22) .

مكانة التنسي العلمية بين علماء عصره: أما مكانته العلمية بين معاصريه فكانت مرموقة، وذلك بشهادة تلاميذه الذين أخذوا عنه، فهذا ابن داود الاندلسي السالف الذكر قد وصف شيخه التنسي بـ"بقية الحفاظ وقدوة الأدباء" وذكر التنبكتي، ما قاله ابن داود الأندلسي كذلك في حق شيخه التنسي، قائلا:"لقد ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي، أنه سئل حين خرج من تلمسان، عن علمائها، فقال: "العلم مع التنسي، والصلاح مع السنوسي، والرئاسة مع ابن زكري." (23)

هذا ووصفه أحمد بن يحي الونشريسي في وفياته "بالفقيه التاريخي الحافظ الأديب الشاعر ..". (24)

أما المقري صاحب نفح الطيب فقد أشار إليه بقوله "بشيخ شيوخنا"، ونعته كذلك بحافظ عصره (25).

وذكره الروداني صاحب كتاب "صلة الخلف بموصول السلف"، ضمن سلسلة، الرواة الذين أخذ عن أسانيدهم الحديث النبوي الشريف (26).

الإنتاج العلمي للحافظ التنسي: ساهم التنسي كغيره من علماء عصره في إثراء الحركة العلمية بمختلف المؤلفات وفي مختلف العلوم التي عرفت انتشارا واسعا آنذاك، فقد شارك في العلوم الدينية واللغوية والاجتماعية ومن أهم المؤلفات التي تركها التنسي أو التي ذكرتها الكتب التي ترجمت له نذكر ما يلي:

*في علوم القرآن الكريم: أثرى التنسي هذا الجانب من العلوم وخاصة علم القراءات بمؤلفات ما زالت مخطوطة إلى يومنا هذا منها "رسالة في القراءات" [27]، كما إعتنى برسم أحرف القرآن، فكتب كتاب "الطراز في شرح الخراز"[28]، وهو شرح لكتاب مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن "الذي كان من أهم كتب القراءات المتداولة بالمغرب الأوسط، وهو عبارة عن أرجوزة تتكون من 608 بيت في ضبط القرآن ورسمه، نظمها عبد الله بن إبراهيم الشريشي المعروف بالخراز سنة 703هـ/1303م ، ومن هذا الكتاب اقتصر محمد التنسي على شرح قسم من هذه الأرجوزة التي تشتمل على 454 بيت في رسم أحرف القرآن، و154 بيت للضبط. انطلاقا من هذا قام التنسي بشرح الجزء الخاص بالضبط، كما يدل عنوان تأليفه، ومن خلال تصفحنا لمخطوط الطراز رقم 391 الموجودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، لاحظنا أن التنسي بدأ شرحه بعد الحمد والصلاة على الرسول بقوله: "فإني لما رأيت من تكلم على ضبط الأستاذ عبد الله الشريشي الشهير بالخراز، وجدتهم بين مختصر اختصارًا مخلاً، ومطول تطويلاً مملا فتاقت نفسي إلى أن أضع عليه شرحا متوسطا يكون أنشط لقارئه وأقرب لفهم طالبه، فشرعت فيه مستعينا بالله تعالى وسميته "الطراز في شرح الخراز"[29].

وقد بدأ التنسي شرحه لهذه الأرجوزة بتعريف علمي الرسم والضبط، والتمييز بينهما فقال: "وهو (يعني الخراز) يتكلم عليها (أي مصاحف القرآن) بوجهين أحدهما ما يرجع إلى بيان الزائد، والناقص، والمبدل وغيره، والموصول وغيره[30]، وهو المسمى بعلم الرسم وفيه نظم المؤلف ما تقدم، والوجه الثاني ما يرجع إلى علامة الحركة والسكون والشد والمد والساقط والزائد، وهو المسمى بعلم الضبط وفيه نظم المؤلف هذا الذي تكلم عليه"[31].

ونجد أن التنبكتي لما ترجم للتنسي لم يذكر هذا الكتاب كاملا بل اقتصر قائلا على أن له تأليفا في الضبط[32].

*في علم الحديث الشريف: لقد احتل في هذا العلم محمد بن عبد الله التنسي قصب السبق فعرف لدى علماء عصره بالحافظ[33]، لأنّه كان حافظا لكتب الحديث مثل معجم أصحاب الصدفي للحافظ ابن الأبار، وكذا لكتب أخرى في هذا العلم[34]، كما ذكره المقري في نفح الطيب ضمن مسندي كتب الحديث التي أخذها عن ابن مرزوق الحفيد التي نبغ فيها وقد مدحهما بأبيات شعرية هذا مطلعها:

وقد أجدت جامع البخاري   ومسلم عن حائز الفخار

عمي سعيد وهو من يُدعى بالتنسي قد أفاد الجمعا

عن حافظ الغرب الرضا أبيه عن ابن مرزوق عن النبيه[35]

ومما يدعو للتساؤل أن التنسي لم يترك أثرًا في هذا العلم رغم اعتباره عمدة فيه، اللهم إلا كتابا مخطوطا يوجد بمكتبة السليمانية قسم شهيد علي باشا رقم 1340 بتركيا عنوانه "شرح نبذة من أحاديث الرسول" وعدد صفحاته 20 صفحة[36]. هذا وشكل التنسي حلقة من حلقات الإسناد لكتب الحديث في عصره[37].

*في علم الفقه: شارك التنسي في الفقه فقد ذكرت له كتب التراجم "تعليق على مختصر ابن الحاجب"[38]، كما له أيضا فتوى"جواب في قضية يهود توات"[39]، التي أبان فيها عن سعة باعه في الحفظ والتحقيق[40]، وهي عبارة عن فتوى استفتاه فيها الشيخ عبد الكريم المغيلي القاضية بتهديم بيع وكنائس اليهود التي أحدثوها في منطقة توات وهو ما يتنافى والشريعة الإسلامية، وقد انتصر التنسي في هذه الرسالة وشاطر عبد الكريم المغيلي في ثورته على هؤلاء اليهود وتهديم كنائسهم[41].

*في الأدب والشعر: كان التنسي من كبار كتاب عصره وشعراءه، بل هو من أعظم كتاب تلمسان الزيانية وشعراءها خلال القرن 9هـ/15م. وقد بلغ في النظم، كما بلغ في النظر درجة التفوق التي لم يضاهيها فيها أحد في النصف الثاني من هذا القرن. وقد برز التنسي بالأخص في ضرب النثر والشعر الذي حواه كتاب الدر والعقيان وراح الأرواح. ورغم تراجع سوق الشعر في هذه الفترة بالمغرب الأوسط بشكل ملحوظ تاركا المجال لهيمنة العلوم الدينية إلا أن التنسي ترك بصماته فيها بتأليفه لكتاب شمل شعر من سبقه خاصة السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني والذي "راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الامداح وما يوافق ذلك على حسب الإقتراح"[42] وتوجد قطع شعرية من قصائد هذا الكتاب في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري الحفيد.

*التنسي وعلم التاريخ: لقد تراجعت مكانة هذا العلم خلال الفترة السابقة فاسحة المجال لهيمنة العلوم الدينية تعليمًا وتأليفا حتى كاد هذا القرن ينقضي دون وجود مؤلفات في التاريخ لولا ما تركه التنسي الذي يُعد كتابه أهم ما وصلنا من القرن التاسع الهجري المسمى "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، وذكر ملوكهم الأعيان، ومن ملك منهم في سالف الزمان" والذب عُدَّ من أهم آثاره.

دوافع تأليف نظم الدر والعقيان: يعود سبب تأليف هذا الكتاب من قبل التنسي هو تقديمه إلى السلطان محمد المتوكل (866-873هـ)[43]، على عادة شعراء وعلماء تلك الحقبة كان التنسي يكن لهذا السلطان كل عبارات الاحترام والتقدير، نتيجة ما امتاز به هذا الأخير من الحزم والشجاعة، والكرم وعنايته بالعلم والعلماء، وقد أثبت ذلك في مقدمة مؤلفه هذا قائلا "ولما كنت من جملة من غمرته آلاؤه، وتواترت عليه نعماؤه وألبست منها حللا صافية، وأوردت منها مشارع صافية، نهضت في خدمته بقدر طاقتي، واستعملت في ذلك ما رجوت أن يكون نافقا من بضاعتي، جاهدا في مرضاته خاطري ولساني، وأعملت فيما يزلف لديه ناظري وشأني، جاهدا في ذلك بما في الوسع لدي، عسى أن أقوم ببعض واجب حقه علي..." إلى أن قال: "وسميته نظم الدر والعقان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان"[44].

مضمون كتاب نظم الدر: قسم التنسي مؤلفه "نظم الدر والعقيان" إلى خمسة أقسام ثم جَزَّءَ كل قسم إلى أبوابٍ، فكان محتوى الكتاب على النحو التالي[45]:

القسم الأول: عرف فيه المؤلف بنسب السلطان الزياني محمد المتوكل، كما تطرق بالذكر لأسلافه وبين شرفهم المنتهي لآل البيت خاصة فرع الأدارسة الأشراف، وحوى هذا القسم سبعة أبواب تناول فيها:

الباب الأول: تطرق فيه إلى ذكر نسب السلطان محمد المتوكل.

الباب الثاني: بين فيه فضل وشرف العرب، خاصة قبائل المضرية منهم.

الباب الثالث: ذكر فيه شرف قبيلة قريش، خاصة بيت آل عبد مناف منها.

الباب الرابع: تطرق فيه إلى شرف بني هاشم، خاصة آل عبد المطلب منهم.

الباب الخامس: بين فيه شرف علي رضي الله عنه وبنيه، خاصة منهم الحسن والحسين رضي الله عنهما.

الباب السادس: ذكر فيه شرف عبد الله الكامل وبنيه، خاصة الأدارسة منهم[46].

الباب السابع: تطرق فيه إلى بيان شرف آل زيان وتتبع سلاطينهم الواحد بعد الآخر إلى أن وصل إلى السلطان محمد المتوكل، ويعد هذا الباب أهم هاته الأبواب وهو "بيان شرف بني زيان" الذي كان محل اهتمام من المستشرقين[47]، لما احتوى عليه من أخبار وتفاصيل ذات

أهمية انفرد بها هذا الكتاب عن تاريخ بني زيان، وهذا الباب هو الذي حققه المرحوم محمود بوعياد ونشر بتعاون المكتبة الوطنية الجزائرية والمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1985 (48).

القسم الثاني: عالج فيه ما ينفرد من الخصال وما يليق به من السيرة الحسنة، والأخلاق الحميدة، وهذا القسم يتكون من ثلاثة أبواب هي:

الباب الأول: تناول فيه السياسة وما يتعلق بها في تدبير شؤون الدول.

الباب الثاني: تطرق فيه إلى الصفات التي بها يكتمل الملك، وهي الجود، والشجاعة، والحلم.

الباب الثالث: تكلم فيه عن أهم ركيزة يستند عليها الملك وهي العدل.

القسم الثالث: هذا القسم ذكر فيه التنسي المِلح، والنوادر المستطرفة التي رويت عن الأقوام المختلفة (كالعرب والفرس والهنود، والروم...)، واشتمل هذا القسم على ستة عشر باب:

الباب الأول: ذكر فيه ما روي عن الطرفاء والملوك والخلفاء.

الباب الثاني: تطرق فيه إلى النزر القليل من طرف العلماء.

الباب الثالث: تطرق فيه إلى ذكر محاسن الشعراء والأدباء.

الباب الرابع: تناول فيه بعض طرف المحبين والعشاق.

الباب الخامس: خص فيه بذكر نوادر الأعراب على بداوتهم.

الباب السادس: ذكر فيه بعض الأخبار المتعلقة بأهل الكهانة.

الباب السابع: ذكر فيه بعض من أخبار المغنين.

الباب الثامن: ذكر بعض أخبار النسابين.

الباب التاسع: تناول فيه شيء من أخبار الفقهاء.

الباب العاشر: ذكر فيه شيء من أخبار الطفيليين.

الباب الحادي عشر: ذكر فيه أخبار النساء.

الباب الثاني عشر: ذكر فيه شيء من أخبار الصبيان.

الباب الثالث عشر: تناول فيه أخبار الظرفاء المجانين.

الباب الرابع عشر: ذكر فيه شيء من أخبار الثقلاء.

الباب الخامس عشر: تناول فيه أخبارالمغفلين.

الباب السادس عشر: خص هذا الباب للمضحكات.

القسم الرابع: تناول فيه محاسن الكلام المستعملة في النثر والنظم، ويحتوي هذا القسم على ثمانية أبواب هي:

الباب الأول: ذكر فيه فضل الشعراء وأبرز شيء من فوائدهم.

الباب الثاني: تناول فيه التشريع.

الباب الثالث: خصه للتجنيس.

الباب الرابع: جعله للتوجيه.

الباب الخامس: في الطباق.

الباب السادس:في فراغات النظر.

الباب السابع: في العكس وربما سمى قلبا.

الباب الثامن: في الإقتباس وحقيقته.

القسم الخامس: خصه لذكر المواعظ والحكم الواردة عن مختلف الأمم، وهذا القسم يحوي أربعة أبواب هي:

الباب الأول: تناول فيه الحكم النبوية.

الباب الثاني: تطرق فيه للحكم غير النبوية.

الباب الثالث: جعله للمواعظ النبوية.

الباب الرابع: خص به المواعظ غير النبوية.

-وختم التنسي كتابه هذا برسالة في أصل العرب وبسبع قصائد للسلطان أبي حمو (707 هـ/1307-1308م) [49]

أهمية كتاب نظم الدر في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط: لا يمكن للباحث في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط أن يستغني عن كتاب نظم الدر في دراسته لأن هذا المؤلف يعد أحد الأركان الثلاثة لدراسة تاريخ هذه الفترة إلى جانب كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون والبغية لأخيه يحي[50]. فقد عالج التنسي في كتابه هذا فترة سبعين سنة في تاريخ دولة بني زيان أي ابتداءًا من سنة 764هـ/1363م، وتاريخ توقف يحي بن خلدون عن كتاب "بغية الرواد" سنة 777هـ/1376م، نهاية أخبار العبر عن دولة بني زيان عند عبد الرحمن بن خلدون، أي حوالي سنة 796هـ/1393م إلى أن يصل التنسي في كتابه النظم إلى سنة 868هـ/1464م، فلا نجد مصدر آخر تطرق بعد هذا لهذه الفترة وما أعقبها إلا بعض الإشارات لكتب المتأخرين

عن هذا العصر كالمقري صاحب "نفح الطيب والأزهار الرياض"، وما كتبه الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل في كتابه "الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم" الذي أشار إلى بعض الأحداث بالمغرب الأوسط بعد زيارته له[51].

كما يدخل هذا الكتاب ضمن كتب التاريخ التي تؤرخ للسلاطين والحكام، وهذا النوع من المؤلفات عرف انتشارا واسعا بالمغرب الاسلامي خاصة بعد التفتت السياسي الذي عرفه بعد انهيار الدولة الموحدية، وظهور الحفصيين بالمغرب الأدنى، وبني زيان بالمغرب الأوسط، والمرنيين في المغرب الأقصى، وبني الأحمر في الأندلس، وانطلاقا من هذا ألف لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1373م) لسلاطين بني الأحمر بغرناطة كتاب "اللمحة البدرية في الدولة النصرية"، ويحي بن خلدون الذي ألف كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، لسلاطين بني زيان، وابن قنفذ القسنطيني الذي ألف "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، وابن الشماع الذي ألف " الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية" والزركشي مؤلف "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية" أما سلاطين بني مرين فقد ألف في أعمالهم ومفاخرهم "كل من ابن الأحمر" روضة النصرين في دولة بني مرين" ... إلخ، ومن هذا المنطلق في التاريخ الخاص بالسلاطين ألف التنسي "نظم الدر والعقيان"، ليبين مناقب السلطان محمد المتوكل، ويساهم هو الآخر في إبراز مآثر سلاطين أجداده من بني زيان[52].

وبهذا يكون التنسي من المؤرخين الجزائريين الذين وضعوا اللبنة لبناء المدرسة التاريخية الوسيطية. إضافة إلى هذا أنه غطى بكتابه هذا فترات زمنية من تاريخ الدولة الزيانية، خاصة تلك التي لم يعرج عليها يحي بن خلدون صاحب البغية، ويعد نظم الدر أيضا الكتاب الوحيد الذي سلط الضوء على الوضع السياسي لبلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني خاصة في القرن التاسع الهجري/15م.

هذا وشارك التنسي كذلك في علم التراجم الذي يعد أحد فروع علم التاريخ بمؤلف "في إسلام أبي طالب"[53] وقد ذكر السخاوي في الضوء اللامع قائلا عنه: "وقيل أنه صنف في إسلام أبي طالب جزءا كما هو مذهب بعض الرافضة"[54]. ولكن ما يؤسف له أن هذا الكتاب هو الآن في حكم المفقود. وإضافة إلى ما سبق كتب التنسي "فهرسة"[55]، ذكرها المرحوم عبد الحي الكتاني حين ترجم للتنسي قائلا: "وله فهرسة نرويها بأسانيدها إلى أبي العباس المقري[56]، وسعيد قدورة[57] كلاهما عن عم الأول سعيد المقري التلمساني، عن أبي عبد الله

محمد بن محمد بن عبد الجليل، عن أبيه"[58] وهذه الفهرسة هي في حكم المفقود اليوم أيضا.

وفاته: هذا وبعد حياة حافلة بالعلم توفي محمد التنسي في جمادى الأولى، سنة(899هـ/1494م)، حسب ما ذكره أحمد بن يحي الونشريسي في وفياته حيث قال: "وفيها (أي سنة 899هـ)، في جمادى الأولى منها توفي الفقيه التاريخي الحافظ الأديب، الشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجليل المزالي شهر بالتنسي "[59]. كما أكد تاريخ وفاته هذا كذلك ابن القاضي في كتابه لقط الفرائد.[60]

خاتمة: نرى مما تقدم أن المؤرخ محمد بن عبد الله التنسي شخصية، لها قيمتها في تاريخ المغرب الأوسط، وهي في حاجة إلى دراسة أعمق وأوسع ويستشف ذلك من قيمة ما تركه في تاريخ هذه البلاد بمؤلفه نظم الدر والعقيان الذي عالج فيه مدة سبعين سنة من تاريخها ابتداءا من سنة 764هـ/1363م، وينتهي سنة 868هـ/1464م، وهو بهذا أثرى المكتبة التاريخية العربية الاسلامية عامة والمكتبة التاريخية الجزائرية خاصة، كما أننا نضع هذا الرجل إلى جانب فطاحل العلماء الذين خدموا سوق العلم خاصة التاريخ كعبد الرحمن بن خلدون وأخيه يحي، والزركشي، وابن الأحمر خلال القرن التاسع المجري /15م.

الهوامش:

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981، ج1، ص28- محمد بوشقيف: تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين (14-15م)، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011، ص27

2- يسرى عبد الغني عبد الله: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، ص.11

3- عبد الرحمن بن خلدون المقدمة، اعتنى به مصطفي شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2005، ص211.

4- السيد عبد العزيز سالم: التاريخ و المؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت 1971، ص-ص66-71.

5- إبراهيم حركات مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن (9هـ/15م)،دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،ط1، 2000، ج1، ص-ص245-256.

6- أنظر ترجمته: السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت (د-ت)، ج8، ص120-أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الدباج، إشراف و تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ط1، 1989، ص 572- و كيافة المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج، علق عليه أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ط1، 2002، ص 453-القرافي بدر الدين: توشيح الدباج و حلية الابتهاج، تحقيق و تقديم أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي بيروت ط1، 1983، ص270- ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبولنوار، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة ط1، 1971، ج2، ص143- ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شلب، و قدم له عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص248- مخلوف: شجرة النور الزكية، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1349هـ،ص267-الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تح، محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت و المكتبة العتيقة، تونس، 1982، ج1، ص164-165- المقري: نفح الطيب من غسن الأندلس الرطيب، تحقيق يوسف الشيخ، محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث و الدراسات في دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ط1، 1998، ج3، ص178. الونشريسي : الوفيات ،

تحقيق محمد حجي، مطبعة دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، 1976، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، ص153. و قد ورد اسمه عنده باسم محمد بن عبد الله المزالي.

7- نسبة إلى مدينة تنس و تنس: بفتحتين و التخفيف و السين المهملة، و هي مدينة من أقدم مدن المغرب الأوسط تقع على شاطئ البحر المتوسط و قد تم تأسيسها من قبل بعض التجار الأندلسيين سنة 272هـ/875م، عنها أنظر: أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، نشره البارون دي سلان، الجزائر 1857م، ص-ص 61-63، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985، ص186، عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان 1975، ص138.

8- المقري : المصدر السابق ج6 ص 178؛ محمد بوشقيف: العلوم الدينية ببلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م،مذكرة ماجيستر في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2003-2004، ص-ص 173-176.

9- التنبكتي : المصدر السابق ، ص572- الونشريسي : المصدر السابق ، ص 153.

10- الونشريسي: المصدر السابق، ص153.

11- محمد بن عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان، حققه و علق عليه محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب و المكتبة الوطنية، الجزائر 1985، ص12 من مقدمة المحققة.

12- ابن مريم : البستان ، ص 204-206.

13- القلصادي : رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق، محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص102- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 42.

14- القلصادي : المصدر السابق ، ص 108- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 521.

15- ابن مريم : المصدر السابق ، ص221.

16- الونشريسي : المعيار المعرب، خرجه جماعة من الفقهاء باشراف محمد حجي، وزارة الأقاف و الشؤون الإسلامية الرباط، 1981،ج2، ص 515- ج7 ، ص 69- ج9 ، ص 232-ج10 ، ص 327

17- ابن مريم : المصدر السابق ، ص87

18- مخلوف : شجرة النور ، ص 267 - ابن مريم : البستان ، ص 45-50

19- انظر مصادر ترجمته : التنبكتي : نيل الابتهاج :، ص 511.

20- ابن مريم : المصدر السابق، ص 251-252 - مخلوف : المرجع السابق ، ص 267.

21- عنه انظر : ابن مريم : المصدر السابق ، ص 263 - مخلوف : المرجع السابق ، ص 268 .

22- التنبكتي : المصدر السابق ، ص 354.

23- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 354-356- ابن مريم : البستان ، ص 248-249.

24- الونشريسي : الوفيات ، ص 153.

25- السخاوي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 303.

26- الرداني محمد بن سليمان: صلة الخلف بموصول السلف، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت ط1988،1، ص 22.

27- توجد نسخة منها في خزانة يوسف بمراكش بالمغرب، رقم 372.

28- توجد نسختين مخطوطتين من هذا الكتاب بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحمل الأولى رقم 390 و الثانية تحمل رقم 391، كما توجد نسخ أخرى من هذا المخطوط بالمكتبة العامة و المحفوظات بتطوان بالمغرب، و عدد النسخ الثلاثة الأولى تحمل رقم 316م و النسخة الثانية رقم 148م، والثالثة لم يشر إلى رقمها، كما توجد نسخة أخرى في الجامع الكبير بمكناس رقم 336.

29- محمد بن عبد الله التنسي: الطراز في شرح الخراز، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 391، الورقة 140ظ ؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون،دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، مج2، ص 1109 ؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993، ج3، ص 381 ؛ محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 85.

30- ابن خلدون: المقدمة، ص 455.

31- التنسي: الطراز في شرح الخراز، الورقة 140ظ ؛ محمود بوعياد: مقدمة تحقيق كتاب نظم الدر، ص 25-26؛ محمود بوعياد: آثار محمد التنسي، مجلة الثقافة، العدد 47، السنة الثامنة 1978، ص 42-43 ؛ رضا كحالة: المرجع السابق، ج3، ص 381.

32- التنبكتي: المصدر السابق، ص 573 ؛ محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 86.

33- المقري: نفح الطيب، ج6، ص 354 ؛ محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 92-93.

34- عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس و الإثبات و معجم المعاجم و المشياخات و المسلسلات، إعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1982، ج2، ص 618 ؛ عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2002، ج2، ص 444.

35- المقري: المصدر السابق، ج6، ص 352-354 ؛ و القصيدة من البحر الكامل.

36- محمد بن عبد الكريم: مخطوطات جزائرية في مكتبات اسطنبول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1972، ص 15-16.

37- الروداني: المصدر السابق، ص .22.

38- التنبكتي: المصدر السابق، ص573-ابن مريم،البستان،ص248، محمود بوعياد: آثار التنسي، مجلة الثقافة العدد47، السنة1978، ص41 ؛ محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص15.

39- عبد الكريم المغيلي:مصباح الارواح في اصول الفلاح، تقديم و تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1968، ص71.

40- ابن القاضي:درة الحجال،ج2،ص143 ؛ محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 115.

41- عبد الكريم المغيلي:المصدر لسابق،ص71-محمود بو عياد:المقال السابق،ص45-49.

42- المقري: نفح الطيب، ج6، ص 213 ؛ البغدادي اسماعيل باشا: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الضنون، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، ج1، ص 545 ؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نوهيض الثقافية، بيروت ط1983،3، ص .85

43- حكم الدولة الزيانية ما بين 866هـ إلى 873هـ /1461-1468م ؛ التنسي: نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان، حققه و علق عليه محمود بوعياد، المكتبة الوطنية الجزائرية و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 107-108 ؛ المؤرخون الجزائريون... التنسي: مجلة تاريخ و حضارة المغرب، كلية الآداب، الجزائر، العدد 05، السنة جويلية 1968.

44- أبو عبد الله التنسي: نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2536، الورقة 4 و، أبو عبد الله التنسي: تاريخ دولة الأدارسة (من كتاب نظم الدر و العقيان) تحقيق و تقديم عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص19 من مقدمة المحقق.

45- محمود بوعياد: مقدمة تحقيق كتاب نظم الدر و العقيان، ص-ص 38-.53

46- قام الدكتور عبد الحميد حاجيات بتحقيق هذا الباب و عنونه بتاريخ دولة الأدارسة (من كتاب نظم الدر و العقيان).

47- من المستشرقين الذين اهتموا بهذا الباب من نظم الدر و العقيان للتنسي المستشرق الفرنسي الأب برجيس الذين ترجمه إلى اللغة الفرنسية و نشره بعنوان:
Barges :histoire des béni-zeiyan, rois de tlemcen

48- محمود بوعياد: آثار محمد التنسي مؤرخ بني زيان، مجلة الثقافة، العدد 47، السنة نوفمبر 1978، ص .40

49- خص الجانب الأدبي من كتاب نظم الدر و العقيان لمحمد بن عبد الله التنسي بالدراسة و التحقيق و التعليق بوطالب محي الدين و نشره تحت عنوان نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان (الجانب الأدبي) و نشره سنة 1993م ضمن منشورات دار دحلب.

50- عبد الحميد حاجيات: من مقدمة تحقيق الفصل الخاص بالأدارسة، ص24.

51- نفسه، ص24.

52- نفسه، ص26.

53- محمود بوعياد: آثار محمد التنسي مؤرخ بني زيان، مجلة الثقافة، العدد 47، السنة نوفمبر 1978، ص40.

54- السخاوي: الضوء اللامع، ج8، ص .120

55- ابن مريم: المصدر السابق، ص 284 ؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج1، ص 194 ،عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص 85 ؛ محمود بوعياد: مقال آثار محمد التنسي مؤرخ بني زيان، ص 41 ؛ ومقال الحافظ التنسي مؤرخ المغرب الأوسط، ص .14

56- صاحب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

57- من علماء الجزائر العثمانية، ولي الإفتاء بالجزائر العاصمة وتوفي سنة 1066هـ-1656هـ، عنه انظر: المقري: رحلة المقري إلى المغرب و المشرق، تح محمد بن معمر، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2004، ص 74.

58- الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص .194

59- الونشريسي : الوفيات ، ص .153

60- ابن القاضي : لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، تحقيق محمد حجي، مطبعة دار المغرب للتأليف و الترجمة والنشر، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، الرباط 1976، ص 274.

دور ابن القنفذ القسنطيني في تأريخ الحياة السياسية والثقافية والدينية للجزائر الحفصية

أ. عبد القادر قوبع*

انتعشت الكتابة التاريخية في المغرب الإسلامي كما كانت عليه نظيرتها في المشرق، وظهرت أقلام كثيرة شكلت مصادر للتأريخ للدويلات الإسلامية في الأندلس والمغرب، ولعل المؤرخ ابن القنفذ القسنطيني أكثر من ارتبط بالتأريخ للدولة الحفصية، وبخاصة إطارها الجغرافي الواقع في الجزائر اليوم كقسنطينة وبجاية... بحكم انتمائه إلى مدينة قسنطينة حياة ونشاطا ومماتا، لا ينافسه في ذلك سوى المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون.

وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال حياته ومؤلفاته المتنوعة لتبيين أهميته التاريخية ومكانته بين غيره من المؤرخين، واعتباره رمزا في تشكيل المدرسة التاريخية الجزائرية عبر العصور.

التعريف بابن القنفذ القسنطيني: هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي المعروف بابن القنفذ والمشتهر بابن الخطيب، نسبة إلى تولي جدّه الخطابة طيلة ستين عاما، وكذلك والده من بعده[1].

نشأ ابن القنفذ في قسنطينة، في عائلة علم ودين وتصوف؛ فوالده درس على يد علماء من المشرق والمغرب، كما ترك مؤلفين اثنين هما: المسنون في أحكام الطاعون، والمسائل المسطرة في النوازل الفقهية، أما جدّه لأبيه فقد تولى الخطابة، كما تولى القضاء طيلة ثلاثين سنة[2].

ويركز ابن القنفذ في مؤلفاته على إبراز تأثره بعائلة أمه، وبخاصة جدّه لأمّه يوسف بن يعقوب الملاّري الذي ارتبط به، وعاش معه حيث كفله بعد وفاة والده؛ فاستفاد من نزعتها الصوفيّة متصلة السلسلة بأبي مدين شعيب، ومن قربها من الحفصيين، كما استفاد في كتابته

* – أستاذ مساعد أ في التاريخ الإسلامي الوسيط– قسم التاريخ– جامعة محمد بوضياف– المسيلة.